الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت–

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة العربية و آدابها

مفهوم التراث في فكر الرافعي

قراءة ابستيمولوجية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

تخصص: أدب حديث و معاصر

إعداد الطالبتين:

– علي باشا أمينة

– شعيب فاطيمة الزهراء

إشراف الدكتور:

بلحسين محمد

أعضاء لجنة المناقشة:

د. ذبيح محمد	**رئيسا**
د. بلحسين محمد	**مشرفا**
د. يعقوب الزهرة	**مناقشا**

السنة الجامعية

2019–2020م

1440–1441هـ

شكر وعرفان

﴿ ربِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ سورة النمل الآية 19.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

"من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وإمتنانه ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شرك له تعظيما لشأنه ونشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأتباعه وسلم.

بعد شكر الله سبحانه وتعالى على توفيقه لنا لإتمام هذا البحث المتواضع أتقدم بجزيل الشكر إلى الوالدين العزيزين اللذين أعانوني وشجعوني على الاستمرار في مسيرة العلم و النجاح ، وإكمال الدراسة الجامعية و البحث : كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى من شرفني بإشرافه على مذكرة بحثي الأستاذ و الدكتور :" بلحسين محمد" الذي لم تكفني حروف هذه المذكرة للإيفائه حقه بصبره الكبير عليا ، ولتوجيهاته العلمية التي لا تقدر بثمن ، و التي ساهمت بشكل كبير في اتمام واستكمال هذا العمل ، إلى كل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها ، كما أتوجه بخاص شكري وتقديري إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد على إنجاز وإتمام هذا العمل.

الطالبتان :علي باشا أمينة /شعيب فاطيمة

إهداء

إلى الذي وهبني كل ما يملك حتى أحقق له أماله ، إلى من كان يدفعني قدما نحو الامام لنيل المبتغى ، إلى الأنسان الذي امتلك الانسانية بكل قوة ، إلى الذي سهر بتعليمي بتضحيات جسام مترجمة في تقديسه للعلم ، إلى مدرستي الاولى في الحياة :" أبي الغالي على قلبي ، أطال الله في عمره ، إلى التي وهبت فلذة كبدها بكل العطاء و الحنان ، إلى التي صبرت على كل شيء ، التي رعتني حق الرعاية وكانت سدى في الشدائد ، وكانت دعواها لي بتوفيق ، تتبعني خطوة خطوة في عملي ، إلى من ارتحت كلما تذكرت ابتسامتها في وجهي نبع الحنان ، أمي أعز ملاك على القلب و العين " جزاها الله خير الجزاء في الدارين ، إليها أهدي هذا العمل التواضع ، وإلى كل أخوتي و أخي اللذين تقاسموا معي عبء الحياة.

كما أهدي ثمرة جهدي لأستاذي الكريم الأستاذ و الدكتور "بلحسين محمد" الذي كلما تظلمت العراقيل أمامي لجأت إليه فأناره لي ، وكلما دب اليأس في نفسي زرع فيها الأمل ، وكلما طلبت كمية من وقته الثمين وفره لي ، بالرغم من مسؤولياته المتعددة .

وإلى كل أساتذة قسم اللغة و آدابها الكرام .

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل .

الطالبة علي باشا أمينة

إهداء

إلى من أحمل اسمه بكل افتخار أبي الغالي أطال الله في عمره و أدامه فخرا لنا.

إلى أعز و أغلى شخص في هذا الوجود أمي الغالية أدامها الله تاجا على رؤوسنا.

إلى أختي وزوجها و أولادها.

إلى كل من كان عونا وسندا لي في الحياة ، إلى كل صديقاتي ، وكل من ساندني ولو بكلمة الطيبة أهدي عملي هذا.

شعيب فاطيمة الزهراء.

مقدمة

مقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم، الحمد لله الواحد المعبود ، عم بحكمته الوجود ،وشملت رحمته كل موجود ،أحمده سبحانه وأشكره ،وهو بكل لسان محمود ،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الغور الودود ،وعد من أطاعه بالعزة و الخلود ، وتوعد من عصاه بالنار ذات الوقود ، وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله ،صاحب المقام المحمود ، و اللواء المعقود ، والحوض المورود ، صلى الله عليه وسلم على آله وأصحابه ،الركع السجود ،و التابعين ومن تبعهم من المؤمنين المسلمين إلى يوم الدين وبعد :

اتجه العرب منذ بداية عصر النهضة إلى إحياء تراثهم ،والمحافظة عليه ، والتصدي للصيحات التي تدعي الاخلاص للأمة ،وتنادي بضرورة التخلص من التراث ،مما خلف عن ذلك فريقين متعارضين في الآراء و الأفكار النقدية ، بين مؤيد ومدافع عن التراث باعتباره الجانب الفكري في الحضارة العربية الاسلامية ،وبين داعيا للتجديد و آخذا بمبادئ الغرب ،واشتد الصراع بين هذين الفريقين ما جعله يحظى بممارسة من قبل النقاد و الأدباء العرب ،وفي طليعتهم الأديب و الناقد "مصطفى صادق الرافعي " و الذي هو موضوع الدراسة.

ولقد كان مبعث إختياري لهذا البحث و الاديب على وجه الخصوص نابعا من رغبتي في الغوص في بحر هذا الاديب وليست محض صدفة ، في دراسة جهود الرافعي لإحياء التراث العربي الاسلامي.

-حرص الرافعي على قراءة التراث وكتب التراث.

-توظيف الرافعي للتراث بين دعاة المعاصرة وأنصار التراث.

-القراءة الرافعية للتراث.

-نماذج من مواقف الرافعي تجاه قضايا التراث

وتبعا لذلك جاء الاشكالية المطروحة للبحث كالآتي : ما مفهوم التراث ؟ ومن هم دعاة القديم ؟ وماهي أراءهم ؟ ومن هم دعاة التجديد ؟ وماهي أراءهم؟

-وما هي أهم مرتكزات الرافعي في إحياء التراث العربي و الاسلامي؟

في الواقع لا يجد المتتبع للرافعي دراسة مستقلة على وجه التحديد لموضوع مفهوم التراث في فكر مصطفى صادق الرافعي –قراءة ابستيمولوجية ،لأن الدراسة السابقة في مثل هذه المواضيع متسعة وشاسعة خاصة بالنسبة لدراسة التراث باعتباره وجه الأمة العربية و الاسلامية بصفة عامة.

ونظرا لطبيعة الموضوع فلقد فرض علي المنهج التحليلي و التاريخي ، الذي من شأنه أن يقف على النصوص والأقوال المتصلة بموضوع الدراسة ، وكذلك استسقاء المحتويات المعرفية في كتب الرافعي الخاصة بالتراث، و الشواهد المستدعاة في التحليل ، حيث قمت بتحليل نماذج من مواقف الرافعي تجاه قضايا التراث.

ولقد استندت مرجعيا إلى كل ما كتبه مصطفى صادق الرافعي في مؤلفاته وهي عديدة ، ولكن أهمها ينحصر في ثلاث كتب وهي :"تاريخ آداب العرب"- تحت راية القرآن" – وحي القلم".

ولقد واجهت البحث صعوبات عديدة : أولها : إن هذه الدراسة لم تكن سهلة كما نعتقد باعتبار أدب الرافعي غامضا ، وعاما يحتاج إلى تمعن وتريث لنصل إلى الفكرة ،ثانيها : تشعب هذا الموضوع وكثرة الفروع فيه.

ثالثا : كثرة المعلومات في دراسة هذا الموضوع وصعوبة كيفية أخذ اللب وهو جوهر الدراسة

رابعا :صعوبة التحليل لموضوع هذه الدراسة

و قد اتبعنا في دراستنا لهذا الموضوع التقسيم التالي:

مقدمة و مدخل و ثلاث فصول و خاتمة، حيث تناولنا في المدخل قراءة في مصطلح فتطرقت إلى مفهوم التراث لغة و اصطلاحا ، وبين دعاة المعاصرة و أنصار التراث.

و أما الفصل الأول جاء تحت عنوان : نموذج القراءة الرافعية للتراث، تناولنا أولا التكوين العلمي و الثقافي، العصامية و غياب الأكاديمية، و درجة التفاعل مع الثقافة الغربية و الاعتماد على المصادر التراثية.

أما الفصل الثاني فعنوناه بـ التحليل الابستيمولوجي لمقولات الرافعي من خلال خصوماته حيث تناولنا فيه المحتويات المعرفية في كتب الرافعي الخاصة بقراءة التراث، و الشواهد المستدعات في التحليل و الرد على أطاريح الخصوم و نماذج من مواقف الرافعي اتجاه قضايا التراث.

أما فيما يخص الفصل الثالث فقد كان دراسة تطبيقية لموقف الرافعي من قضية الشعر الجاهلي و تناولنا في الحدود المعرفية لرد الرافعي على أطروحة طه حسين ،و نقض أطروحة طه حسين و التقييم النقدي لحجج الرافعي(نصيب الإيديولوجيا و نصيب المعرفة) و أخيرا ما انفرد به الرافعي في رده على طه حسين.

المصادر و المراجع : وفيها وضعت ثبتا بالمراجع و المصادر التي اعتمد عليها البحث في مادته العلمية

الفهارس :وشملت محتوى المذكرة

ولا يسعنا في الأخير إلا أن نتقدم بخالص الشكر والتقدير للأستاذ المشرف "بلحسين محمد " على منحه الوقت الثمين لنا رغم ارتباطاته بالمسؤوليات العديدة التي تقع على عاتقه ،وقوة صبره علينا بتزويده وشرحه لنا للمعلومة ، و غلى كل من قدم يد العون لنا سواء كان قريبا أو بعيد .

وأرجو أننا قد حققنا ولو قليلا مما كنا نصبوا إليه من خلال هذه الدراسة الخاصة بمفهوم التراث في فكر مصطفى صادق الرافعي –قراءة ابستيمولوجية فما كان من الصواب فمن الله وما كان من زلل فمن أنفسنا ومن الشيطان.

والله نسأل السداد. تيارت في 2020/09/21

مدخل

مدخل

عرف التراث في اللغة منذ زمن بعيد، كمفهوم ذو أبعاد و دلالات مختلفة، وقد شكل هذا المفهوم بحثا عاما في الفكر العربي المعاصر.

1)التراث في اللغة و الاصطلاح:

-التراث في اللغة :

التراث لفظة مشتقة من مادة (و، ر، ث) ،جاء في لسان العرب :" ورث :الوارث : صفة من صفات الله عز وجل ، وهو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق ويبقى يعد فنائهم ، والله عز وجل يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، أي يبقى يعد كل فناء الكل . ويفنى من سواه ، فيرجع ما كان ملك العباد إليه وحده لا شريك له .

ورثه ماله ومجده عنه ورثا ورثة ووراثة و إراثة.

و أورث الرجل ولده ماله ايراثا حسنا ، ويقال :وثت فلانا مالا أرثه ورثا وورثا إذا مات مورثك :فصار ميراثه ذلك.[1]

وورثته المال وثته منه وعنه ، حرث الأرض و الميراث ،وأورثنيه و ورثنيه ،ومهم الورثة و الوارث.

ومن المجاز :أورثه كثرة الأكل التخم و الادواء ،وأورثته الحمى ضعفا ،وهو في إرث مجد ،والمجد متوارث بنهم[2].

[1]-لسان العرب ،لابن منظور 1134/15،مادة ورث ،تحقيق محمد أحمد حسب الله هاشم محمد الشاذلي ، وعبد الله على الكبير ،بدون طبعة ،دار المعارف،القاهرة.

[2]-أساس البلاغة ،لجار الله أبو القاسم الزمخشري ص 671/670 ،مادة "ورث" ط،2004م ،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ،بيروت.

وفي معجم العين للخليل أحمد الفراهيدي : " نجد أصل استعمال هذه اللفظة ،هو للدلالة على البقاء و الدوام ، يقول " الايراث :إبقاء الشيء....يُوَرِّث أي يبقى ميراثا[1].

وفي القرآن الكريم ، وردت لفظة "لتراث" في قوله تعالى :" وتأكلون التراث أكلا لما [2]،أي تأكلون الميراث من أي جهة تحصل لكم من حلال أو حرام[3].

وفي قوله تعالى :" يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربي رضيا"[4]، وفي تفسير هذه الآية يقول الشوكاني : " فليس المراد هنا وراثة المال ، بل المراد هنا وراثة العلم و النبوة و القيام بأمر الدين "[5]،وفي هذا يورد الشيخ الطاهر بن عاشور حديثا روى عن ابن عباس ، ومجاهد ،وقتادة ،وأبي صالح عن النبي صلى الله عليه وسلم ،مرسلا أنه قال :يرحم الله زكريا ما كان عليه من وراثة ماله فلعله خشي سوء معرفتهم بما يخلفه من الآثار الدينية و العلمية ،وتلك أعلاق يعز تلاشيها ،ولذلك قال : " يرثني ويرث من آل يعقوب " فإن نفوس الأنبياء لا تطمع إلا لمعاني الأمور و مصالح الدين ،وما سوى ذلك فهو تبع[6]،وقد وردت لفظة التراث ومشتقاتها في مواضع أخرى في القرآن الكريم ،وقد جاءت بصيغة "ورثة" ،"يورثوا" ،"وورثوا" ،يقول صلى الله عليه وسلم :" وإن العلماء ورثة الأنبياء ،وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ،إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر "[7]،بمعنى أن الذي يورث عن الأنبياء هو العلم وورثة الأنبياء هم العلماء.

---

[1]-معجم العين للخليل أحمد الفراهيدي ،234/8 ،باب الثاء و الراء ،تحقيق ابراهيم السمرائي ،ومهدي المخزومي ،ط 1985م ،دار الحرية للطباعة بغداد.

[2]سورة الفجر ،الآية 19.

[3]-تفسيرات القرآن العظيم لابن كثير ،544/4 ،ط 1995م ،دار المعرفة ،بيروت .

[4]-سورة مريم ،الآية :06.

[5]-فتح القدير الجامع بين فني الرواية و العرابة في علم التفسير ،الشوكاني 322/3 طبعة 1993م ،بيروت.

[6]-تفسير التحرير و التنوير ،للشيخ محمد الطاهر بن عاشور 66/16،بدون طبعة ،دار سحنون للطباعة و النشر بتونس.

[7]-سنن أبي داود ،لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ،باب في فصل العلم ،رقم الحديث 3641.

هذا فيما يخص المعنى اللغوي للفظة "التراث" فهي لا تكاد تخرج عن معنيين الأول مادي ،والثاني معنوي.

التراث اصطلاحا :

للتراث معاني متعددة ،وهي تختلف باختلاف المتناولين له.

يعرف حسن حنفي التراث بأنه :"كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة فهو إذن قضية موروث وفي نفس الوقت قضية معطى حاضر على عديد من المستويات [1]،بمعنى أن كل ما خلفه القدامى سواء أكان ماديا أو معنويا ،فهو يدخل ضمن هذا المصطلح.

والتراث او الموروث عند عبد الله العروي ،هو مجموعة من الأشكال الكلامية أو السلوكية ، انحدرت إلينا من الأجيال السالفة ،وفي نطاق التراث تتساكن المنجزات على مستوى واحد، لا يضاف أي قسم منها إلى شخص بعينه ولا يمتاز جزء عن الآخر بكونه أقدم وأعرق...

وبالتالي تعني كلمة تراث كل ما هو موروث في مجتمع معين عن الأجيال العابرة : العادات، الأخلاق، الآداب ، التعابير و التنظيمات وهذا المعنى هو بالضبط ما تؤده كلمة التراث [2].

وعند محمد عابد الجابري بقوله :" هو الجانب الفكري في الحضارة العربية الاسلامية ، العقيدة الشرعية ،اللغة ،الأدب ، الفن ، والاعلام ،والفلسفة ،والتصوف ،كما يشير إلى أن لفظة " التراث" لم ترد في الخطاب العربي القديم إنما هو لفظ حضوره بعد اليقظة العربية الحديثة التي عرفتها الاقطار العربية[3].

[1]-التراث و التجديد موقفنا من التراث القديم ،لحسن حنفي ،صفحة 13 طبعة الرابعة 1992م المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ،بيروت.

[2]-ثقافتنا في ضوء التاريخ ،لعبد الله العروي ،صفحة 191-192 طبعة 2002م ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،المغرب.

[3]-التراث و الحداثة لمحمد عابد الجابري ، صفحة 23-30 طبعة الأولى 1991م،مركز الدراسات الوحدة العربية..

أما طه عبد الرحمن فيعرف التراث بقوله :" على الاجمال عبارة عن جملة المضامين و الوسائل الخطابية و السلوكية التي تحدد الوجود الكسبي أو الانتاجي للإنسان المسلم العربي على مستوى قيم مخصوصة بقي بعضها على حال للاعتبار وصار بعضها على حال الالغاء ، أما طموحاتي الترقي أو في التردي"[1].

وفي موضع آخر في كتابة " تجديد المنهج في تقويم التراث " يرى بأن التراث ليس مجرد تركة إله يلازمنا تاريخيا وواقعيا ، أي ليس ماضيا وفقط بل ماضي يعيش في الحاضر[2].

ويعرفه محمد جميل مبارك ، التراث بقوله : " بأنه تركة مادية أو معنوية يخلفهما السابق للاحق لرابطة بينهما[3].

تختلف وتتضارب الأفكار و الآراء لدى المثقفين في تعاملهم مع التراث ، فمنهم من ينظر في التعامل مع المادة التراثية على أنها لا ينبغي أن تخرج من كونها قضية الماضي لذاته أو كونها اسقاطا للماضي على الحاضر إلى كونها " قضية الحاضر نفسه وذلك من خلال رؤية الحاضر في حركة ضرورية تتفاعل في داخلها منجزات الماضي وممكنات المستقبل تفاعلا ديناميكيا تطوريا صاعدا[4].

وعل هذا الشكل يصبح الماضي متحركا في الحاضر ، فيخرج النص التراثي عن سيطرة الظروف الاجتماعية و التاريخية التي أنتجته إلى سيطرة طبيعة القراءة الجديدة ، والتي تتحول معها النصوص التراثية المقروءة إلى مادة نصية قابلة " للتشكيل في أي صورة يريدها القارئ ، كأن هذا المقروء لا وجود له في ذاته ،ولا علاقة له بأنساقه التي تجده قدرته على الانقراء ،فهو محض امكان حائم في الهواء ،أو دال هائم في التاريخ ينتظر مدلوله الذي يخلعه عليه القارئ لا يدرك سوى ما يعطيه "[5]

[1]-سؤال المنهج لطه عبد الرحمن ،صفحة 13 طبعة الأولى 2015 م ، المؤسسة العربية للفكر و الإبداع ،بيروت .

[2]-تجديد المنهج في تقويم التراث ،لطه عبد الرحمان ،صفحة 19، طبعة الثانية ،المركز الثقافي العربي الدار البيضاء.

[3]-مفهوم التراث محددات مفاهيم لمحمد جميل مبارك ،صفحة 89 ،الطبعة الثالثة 1993م ،بيروت الشام .

[4]-مجلة فصول عدد 63-سنة 2004 ،ص 80.

[5]-جابر عصفور –قراءة التراث النقدي –هـ-م-ع-ك-(2006) ص 82.

.بهذه الصورة تتعدد القراءة التي يفرضها القارئ المتشكل بطابع الخلفية المعرفية و الايديولوجية ، فقد تنوعت إلى قراءات ذات اتجاهات ومواقف متباينة من التراث.

(**أنصار القديم**) : ويسميهم البعض بالرهينة أو القرار أو السلفية

يدعو أنصار هذا الموقف للرجوع إلى التراث و التحلي بقيمه كردة فعل لمجابهة مفاهيم ومناهج النقد الغربية ، التي يرون فيها خطرا يهدد بطمس معالم المجتمع العربي الاسلامي ، وتعتقد هذه الفئة : أن الخطر قادم من الغرب الساعي وراء تنفيذ مشروع الهيمنة الفكرية وفرض نمط ثقافي غربي على المجتمعات العربية ،فئة من المثقفين العرب الذين اشتغلوا بإحياء التراث العربي بغرض التشويه و الهدم في محاولة ابراز الجوانب المنحرفة فيه وتغليب القيمة الفاسدة لتجدد في ذهن القارئ قيمة صفة استهجانية حقق هدف التغريب والاستلاب الثقافي وتعمل هذه الصورة المشوهة على الارتباط بالتراث وعلى ألا " تحرص على إحياء شيء من التراث إلا ما اتصل بالشبهات و الزنادقة وشعراء الغزل الحسي و الكتب الحافلة بالمفاهيم الواحدة سواء من الثقافات الفارسية أو الهندية القديمة أو اليونانية الاغريقية "[1]–

وخلاصة هذه التيارات أن كل تيار يقدم قوائمه للتراث انطلاقا من مرجعيات وخلفيات محددة ،هي التي وجهت المسار الذي يسير عليه كل تيار على حدة.

كان "مصطفى صادق الرافعي " أحد أشهر الحاملين سواء بالدفاع وبمجابهة دعاة التحرر من القديم و الاستحقاق بعلو وسمو للمكانة التي يحتلها الأدب العربي بين الآداب الأخرى ،كما يشتهر "طه حسين" في الاتجاه المعاكس أشهر الأدباء في أحداث قيمة اعلامية بإصدار كتابه الذي صدم به القارئ العربي الموسوم ب "في الشعر الجاهلي " و الذي سعى فيه إلى الحكم أن الجاهلي ، في معظمه متحول وضع في العصر الاسلامي ، و الاموي متبعا في ذلك منهج الشك الديكارتي ،وموقف "طه

[1]–أنور الجندي ،خصائص الأدب العربي دار الكتب اللبناني بيروت ص 196.

حسين" مصدره الوقوع في جمال سحر الحضارة الغربية التي تشبع بها حد الانهيار فلم يعد ينظر إلى التراث الغربي الذي بدا معه الفكر العربي صغيرا مستنسخا من آداب الغرب ، والواقع أن أنصار التيار الداعي إلى ضرورة العودة إلى التراث لم يرفضوا الجديد لذاته وإنما كان رفضهم له بسبب ما يحمله من الآراء و أفكار غايتها الهدم و التدمير وقطع الصلة بين الماضي الأمة العربية وحاضرها ." فالتراث ليس تراثا ثابتا ولا تراثا جامدا ، ولكنه ميراث متفاعل لم يتوقف عن الحركة ولم ينفصل تاريخيا على النحو الذي انفصل فيه اليونان عبر أوروبا العربية في عصر النهضة".[1]

انه تراث يتميز بقابلية الحركة و التحول إذا صادف الباحث الذي يملك قدرة البحث و الكشف عن مواطن تلك الحركية التي تضمن له طريق الرحلة إلى الماضي و العودة إلى الحاضر.

التيار الحداثي :

يمثل التراث ، عند أصحاب هذا الموقف : الماضي المختلف الذي ينبغي الانفصال عنه و القطيعة الكاملة معه ورفض أية دعوى للتعامل معه فهم يرون المادة التي أوقفت التاريخ واستوقفت معها القارئ واستهجنت فكرة أن مستقبل البشرية يبدأ من ماضيها و " أن التراث ينتهي إلى زمن مضى ".[2]

يذهب أنصار هذا التيار إلى تبني فكرة حبس التراث في ماضيه وبتر أية صلة تربطه بالحاضر الذي يختلف عنه في الزمن و النشأة يبرز "أدونيس" الذي اختزل التراث الغربي في جانبه الديني المتزمت منه خاصة .ليعلن بالصوت العالي شعار الهدم و التدمير الشامل للتراث العربي ودفنه في حدود الزمن الماضي ، حتى تسهل عملية تشغيل عجلة النهضة " بما أن الثقافة العربية يشكلها الموروث السائد ،

[1]-أنور الجندي ،خصائص الأدب العربي دار الكتب :اللبناني بيروت ،ص 38.

[2]-توظيف التراث.

دون أي تقدم حقيقي و لا يمكن ، بتعبير آخر ،كما يبدو أن تنهض الحياة العربية إذا لم تتهدم البنية التقليدية للذهن العربي ، وتتغير كيفية النظر و الفهم التي وجهت الذهن العربي وما تزال توجهه"[1].

يمثل الدين عن –أدونيس– بنية التراث العربي ، يقف حائلا دون أي تقدم ، ينقل المجتمع من سكونية "الثابت" إلى حركية " المتحول " ، و النهوض بالمجتمعات العربية وتحظى مرحلة الانغراس في الماضي ،رأي أدونيس يشترط على الدعوة إلى الانفصال عن الماضي وإعلان التمرد على سلطة النموذج التقليدي المحصن بالموروث الديني لكن هذا لن يتحقق ما دام هدم بنية التراث مشروط بنفس الذهنية التي تربط مع التراث على علاقة جدلية...

هكذا يستقر رأي أدونيس عند أمكانية تغيير الوضع الراهن ، بمعنى استحالة الحركة لتحقيق النهضة وتحرير الانسان العربي من عقلية المجتمعات السلفية.

تفتقد هذه النظرة إلى عامل الموضوعية عند اختزالها التراث العربي في جانبه الديني المتطرف وهي بذلك " تخضع للاسقاطات العقلية و الميزاجية ، المنقطعة عن الدين الواقعي فهي من ثم صورة مشوهة ، تفتقد الايعاد و العلاقات الحقيقية ، فيما تقود إلى نظرة مغلوطة "[2].

التيار التوثيقي أو التيار الوسيطي

يتميز أصحاب التيار المعتدل (التوفيقي) بموقفهم الذي يجرد التراث من صفة القداسة التي ألبسه إياها التيار السلفي المحافظ ، لكن دون تبني نهج الحداثيين في دعوتهم لتحطيم طمية التراث ونسق أسسه ،كي يقام على أنقاضها قواعد النهضة و الحداثة.

يتميز أنصار الموقف التوفيقي بنظرتهم إلى المادة التراثية نظرة ناقدة ،متفحصة تهدف إلى العمل على فرز التراث و إخضاعه إلى عملية الانتقاء " فما كل تراث ينبغي إحياؤه بمعنى أن يسري في حياتنا

[1]–رفعت سالم ، بحثا عن التراث العربي ، الهيئة الهيئة المصرية العامة للكتاب ،2006،ص 65.

[2]–بحثا عن التراث ص 72.

العصرية " [1].، فقرّاء التراث عند هؤلاء ينطلق من "موقع تقدمي " بمعنى يدعو إلى "إحياء" أو "تجديد " أو "استلهام " ما يراه قيما "تقدمية " في التراث العربي ، تخض على العقلانية وتعتد بالإرادة الانسانية ، وتعلى منا قيمه " المصلحة " فيما تتعارض مع النصوصية ،والظاهرية ، والغيبية و الجبرية [2]".

ليس كل التراث مادة صالحة لمواكبة حياتنا المعاصرة فالظروف التي أفرزت تلك المادة تغيرت ، وتغير معها المجتمع المعاصر الذي لا يملك الميل و الاستجابة و الرغبة في التعامل مع هذا الميراث ، " فحياتنا اليوم وما تواجهنا به من مشكلات أساسية لم يعد يصلح لها ما قد ورثناه من قيم مبثوثة في تراثنا ،لسبب بسيط ، هو أنها لم تكن هي نفسها المشكلات التي صادفت أسلافنا حتى نتوقع منهم أن يضعوا لها الحلول "[3].

هذا موقف زكي نجيب محمود من بعض القيم التي ورثناها ،فمن الطبيعي أن تغير بعض قيمه فكيف يرى الفيلسوف " زكي نجيب محمود" التعامل مع التراث :سلقي يدعوا إلى التمسك بالقيم في مواجهة التغريب ، وحداثي يرفض الماضي ويدعوا اقتفاء أثر حضارة الغرب " فإما أن يختار حياة فكرية ، فتنبض بمشكلاته و أزمانه ...لكنه في هذه الحالة يكون في حياته الفكرية متسولا ...و إما أن يلوذ بأصالة آبائه فيما خلفوه من ارث عظيم ، لكنه في هذه الحالة الثانية مظهرا أن يقضي حياته في متحف الآثار النفيسة ، فلا تعود له صلة ...بدنياه ،في كلتا الحالتين بحسب الكل مرارة الغربة ، فلا هو بين أهله إذا شرب من ينابيع الثقافة الأوروبية ، ولا هو غني بنبض حياته إذا قفل راجعا إلى ثقافة آبائه "[4].

[1]-زكي نجيب محمود ، تجديد الفكر العربي –دار الشروق-ط(7) 1982 ص 1994.

[2]-بحثا عن التراث ص 21.

[3]-تجديد الفكر العربي ،ص 73.

[4]-نفس المرجع ص 98-99.

بين هذين الاتجاهين يأتي موقف زكي نجيب محمود قائما على الانتقائية و النفعية ،فالتعامل مع الماضي و الحاضر عنده تعامل براقماتي يتماشى مع ما تستلزمه الحياة المعاصرة " فإذا كان عند أسلافنا طرائق تفيدنا في معاشنا الراهن ،أخذناها وكان ذلك هو الجانب الذي نحييه من التراث ، وأما ما لا ينفع نفعا عمليا تطبيقيا فهو الذي نتركه غير آسفين ، وكذلك نقف الوقفة نفسها بالنسبة إلى ثقافة معاصرينا من أبناء أوروبا و أمريكا "[1].

هكذا يلتقي الحاضر مع الماضي عند زكي "نجيب محفوظ" في دائرة يكون فيها الماضي تراثا متوائما مع الحاضر ومشاركا في تقديم ما يعين على إيجاد الحل لإشكاليات الواقع العربي ، وما يطاوعنا عندما نخضعه للتطبيق العلمي.

يبقى في النهاية أن أساس التعامل مع التراث يقوم على معرفتنا له معرفة علمية تعيننا على استيعاب مختلف أبعاده و اكتشاف القوانين التي تعدم هذه الأبعاد و أن استحضار التراث عملية تسعى إلى تحديده ، وتجديد ويكون بقراءة نافذة نستخلص النافع منه وتطرح مالا يخدم واقعنا المعيش فالمناهج النقدية الحديثة ، لا تنصف النص التراثي –على الخصوص –عندما تعزله عن سياقه الاجتماعي و التاريخي ،وتسقط الظروف المحيطة به.

[1]–نفس المرجع ص 18.

الفصل الأول

نموذج القراءة الرافعية للتراث

تمهيد :

مصطفى صادق الرافعي أحد أقطاب الأدب العربي بامتياز ، فهو شاعر مصري وواحد من أشهر الشعراء العرب في أوائل القرن العشرين.

هو مصطفى صادق الرافعي بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي العمري:(1298هـ-1356م)

ولد الرافعي في 01 يناير 1880 م بقرية بهتيم من قرى القليوبية في بيت جده لأمه ، وذلك أن أمه أسماء بنت الشيخ أحمد الطوخي الحلبي أثرت أن تكون ولادتها الثانية في بيت أبيها الذي كان تاجرا بين مصر و الشام[1].

ثم تنقل الرافعي بين دمنهور و المنصورة وكفر الزيات تبعا لأبيه حتى استقر به المقام في طنطا ، حيث تولى أبوه رئاسة محكمتها ، وهناك في عارة سيدي سالم نشأ الرافعي وترعرع ،كان أبوه قاضيا شرعيا ورئيسيا لكثير من معالم مصر وكان من عادة أسرته أن تنشئ أبنائها تنشئة إسلامية ذات ثقافة تقليدية فنشأ في ذلك الجو ،من الدين وحفظ أجزاء من القرآن من القرآن الكريم ،ووعى نبذا من أخبار السلف ، كانت الأسرة الرافعية أسرة علم ودين تأخذ أبنائها بالتربية الدينية القويمة ، وتفرقهم في الثقافة العربية الاسلامية الأصلية.

وبدأ الرافعي تحصيله العلمي على والده الشيخ القاضي ،وثقف من مجالس الشيوخ و العلماء حتى إذ بلغ العاشرة كان قد حفظ القرآن الكريم وجوده حيث تأخر دخوله إلى الابتدائية إلى عام 1882م وهو حينئذ ابن الاثني عشر سنة ، حيث ابتدأ دراسته في دمنهور ثم أتمها في المنصورة ، وكان هذا كل حظه من التعليم النظامي ، ولم يظفر طوال حاته بغير الشهادة الابتدائية ،ولم يتم دراسته بعد الابتدائية ومرد ذلك إلى مرض شديد لزمه فلم يغادره حتى ترك في أذنيه وقرا و في صوته

[1] -حياة الرافعي ص 27 و الرافعي الكاتب ص 102.

حبسة ، ومازال سمعه يضعف شيئا فشيئا وصوته يتضاءل ويحتبس حتى انقطع عن كل صوت حوله وهو في مطلع العقد الثالث من عمره ، ورجع صوته "أشبه بصراخ الطفل فيه عذوبة الضحكة المحبوسة استحيت أن تكون قهقهة"[1]

غير أن الرافعي استعاض عن هذه المدارس بعكوف جاء على مكتبة أبيه العامرة ،وتطواف مبارك في رياض كتب السلف وساعدته على ذلك علته التي أفضت به إلى اعتزال الناس ، وتعويض ما فاته من سمعه بعلم و أدب يجعلانه له بين الناس مكانا عليا. تزوج الرافعي في عام 1904م من ابنة عائلة البرقوق من مدينة المنصورة ،وعاش حياة زوجية نموذجية ،وتوفي الرافعي في مايو 1937 م عن عمر يناهز 57 سنة وكان الرافعي آنذاك ما يزال يعمل كاتبا ومحصلا ماليا في محكمة طنطا ، وهو العمل الذي بدأ به حياته العملية عام 1900م[2]

وبما أن الرافعي يتكئ في ثقافته على التراث العربي الاسلامي ،نستطيع أن نلتمس المؤثرات في أسلوبه ولغته فأول :ذلك كتاب الله عز وجل وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ،ثانيهما :حفظه من تراث العرب ،وثالثهما :قراءته الواسعة في شتى فنون الثقافة الاسلامية ،رابعهما :فهو ما ولع به الرافعي من النظر في الكتب المترجمة [3].تحكم مذهب الرافعي في الكتابة أصول نظرية آمن بها واتخذها نبراسا ،ثم بنى عليها فنه و أدبه ، ولعلي أشير هنا إلى نصوص من أقواله ترسم لنا ملامح هذه الأصول :

1-"إن كلمة قراءتها لفيكتور هيغو كان لها أثر في الأسلوب الأدبي الذي اصطنعته لنفسي ،قال لي الأستاذ فرع انطوان مرة : " إن لهيغو تعبيرا يعجب به الفرنسيون كل الاعجاب وهو قاوله يصف السماء ذات صباح : " و أصبحت السماء ما فيه كأنما غسلتها الملائكة بالليل ".

---

[1] -نفس المرجع ص 30.

[2] -حياة الرافعي ،محمد سعيد العريان ،ص 28.

[3] -مصطفى صادق الرافعي ،وحي القلم ،الجزء الثالث ،2017م ،دار ابن حزم ،ص 28.

وأعجبتني بساطة التعبير و سهولة المعنى ، فكان ذلك حذوي من بعد في الإنشاء"[1].

2-لعل غموض بعض الفلاسفة وبعض الشعراء هو من دليل الطبيعة على أنهم زائدون في الطبيعة.

3-إن مذاهب العرب واسعة ، ولنا مالهم من التصرف في الاستعمال إذ لم نخرج من قاعدتهم ، وقد يزيد الانسان حرفا لاستقامة الأسلوب ،وإن خالف نقل اللغة ، كما يزيد العرب ويحذفون من أمثال ذلك ، وهو كثير في كلامهم ، و القرآن أبلغ شاهده عليه ، فدعنا من هذا ومثله ،وأعتقد أن مذاهب العرب ليست بالضيف الذي يتصورونه.

4-لا قيمة لكاتب لا يضع في اللغة أوضاعا جديدة [2] .

5-ولقد ذكروا أن أناتول فرانس كان من التوفر على التنقيح ، و الحوك في كتابيه و أسلوبه بحيث يكتب الجملة الواحدة مرة إلى مرتين إلى سبع مرات أو ثمان ، ينقح في كل ذلك و يهذب و يتعمل، فهذا عندهم طلق مباح ، ولكن بعضه عندنا و إن جاء بالمعجزات يكفي لأن يقلب المعجزة إلى حيلة وشعوذة ، يردون فوق ذلك أن يطرحوا عنا كد الضاعة لتكون خاتمة عجائبنا في هذا الجيل صناعة بلا كد[3].

وكل هذه الملامح ظاهرة فيما يكتب الرافعي إلا ماذكره من بساطة التعبير ووضوح المعنى ، فإن هذا لا يسلم له في كل ما جاء به ، فقد كان الرافعي نتيجة لتتبعه دقائق المعاني و إغراقه في المجاز ، وتوليد المعنى من المعنى ، و الفكرة من الفكرة ، يغرق أحيانا في الغموض حتى لا تكاد تدرك مراده و مبتغاه ، وقد تنبه الأدباء لمثل هذا الغموض في أسلوبه ، واستغله خصومه للطعن عليه و الزراية به ، حتى لقد قال طه حسين في كتابه (حديث القمر) : " اللهم إني أشهد أني لا أفهم شيئا....زمهما يكن

[1] حياة الرافعي ،ص 76.

[2] -رسائل الرافعي ،ص 174.

[3] -تحت راية القرآن ،ص 48.

من شيء فإن الذين يريدون أن يرضوا أنفسهم على الطلاسيم ، واقتحام الصعاب ، وتجشم العظام من الامور يستطيعون أن يجدوا في كتاب الرافعي ما يريدون[1].

ولقد تميز أسلوب الرافعي بمباينته لكل أسلوب سواه ، ودلالته على صاحبه ، مما اجتمعت عليه الكلمة ، ولا أعلم أديبا معاصرا حاز من هذه الفضيلة ماحازه الرافعي " فقد كان في الكتاب طريقة واحدة[2].

وكان يكتب في الصحف مرارا بدون توقيع فينم أسلوبه عليه ، حصل ذلك في مقالات (على السفود) و في مقالة (جنود سعد) .[3]

وهو إن كان يحفظ و يقرأ لإعلام الكتاب فإنه كان "يجمع أطرافا من أولئك بطريقة رافعية " ، لقد استطاع الرافعي أن يكون أمثولة فريدة في غناء البيان العربي وحياة البلاغة ألا ترى أن عباراته وجملته و أسلوبه تظهر لقارئيه للوهلة الأولى ؟[4].

1- التكوين العلمي و الثقافي لمصطفى صادق الرافعي:

يقول الدكتور "عادل با ناعمة " « ذكرت من قبل أن الرافعي نشأ نشأة علمية أدبية ، إذ حفظ القرآن الكريم وهو دون العاشرة ، ثم أخذ عن أبيه علما في الفقه و الحديث و الأصول وغيرها من العلوم الدينية ، وأدمن النظر كذلك في مكتبة الشيخ القصبي ومكتبة الجامع الأحمدي في طنطا ، وكانت له جولات مع كتب الحديث و الأدب شعرا ونثرا.

حيث اهتم والده بتعليمه القراءة و الكتابة ، كما لأنه شهد مع والده مجالس العلماء ،فاكتسب من هذه الملازمة ثقافة دينية وعربية وتراثية ، كما غرست فيه حب المعرفة و الانكباب على قراءة الكتب ، بدأ حياته بنظم الشعر وحقق شهرة فيه ، وأصدر الجزء الأول من ديوانه في عام 1903م

[1]-نفس المصدر ،ص 105.
[2]-حياة الرافعي ،ص 226.
[3]-رسائل الرافعي ،ص 77.
[4]-الرافعي الكاتب ،ص 354.

وكان سنه آنذاك اثنين وعشرين عاما ، وانصرف الرافعي بعد ذلك إلى كتابة الدراسات و الكتب التي تتناول التراث العربي وتدافع عن الثقافة الاسلامية ، وقد كتب كتابا مهما عنوانه " تاريخ آداب العرب " واهتم فيه بالحديث عن تاريخ القرآن الكريم و القراءات القرآنية و الإعجاز القرآني و البلاغة النبوية[1] ».

وكانت ثقافة الرافعي قد اقتصرت على الثقافة العربية وهذه الأخيرة حددت لونه النقدي ، فهو تعرض لنقد الشعر مثلا نظرا إليه كما نظر الناقد العباسي ، يتسقط الأخطار النحوية و اللغوية ، ويستجيد المعنى أولا يستجيده ، ويتتبع الفكرة ليرى أنها مبتكرة أو مسروقة[2].

وعلى الرغم من أن الرافعي درس اللغة الفرنسية في المدرسة الابتدائية إلا أنها لم تجد عليه إلا قليلا ، وبدأ الرافعي تحصيله العلمي على يد والده الشيخ القاضي ، وتثقف من مجالس الأشياخ و العلماء الذين كانوا يختلفون إلى أبيه علما كثيرا ، حتى بلغ العاشرة كان قد حفظ القرآن الكريم وجوده[3].

ولم تكن تلك الثقافة التراثية هي كل حظ الرافعي ، بل كان له بصر بما جد من علوم إنسانية لدى الغرب ،وقد عرف الفرنسية معرفة حسنة ، وقرأ بها عدة سنوات بعض ما اتفق له من كتب العلم و الأدب[4] .

فلأسرة الرافعي ثقافة يصح أن تسميها (ثقافة تقليدية) فلا ينشأ الناشئ منهم حتى يتناولوه بألوان من التهذيب تطبعه من لدن نشأته على الطاعة واحترام الكبير وتقديس الدين ،وعلى هذه النشأة نشأ مصطفى صادق الرافعي ،فاستمع إلى أبيه أول ما استمع تعاليم الدين وحفظ شيئا من القرآن الكريم، ووعى كثيرا من أخبار السلف ،وكانت مكتبة الرافعي هي دنياه التي يعيش فيها فأخذ عنها العلم ، ولقد ظل على هذا الدأب في القراءة و الاطلاع إلى آخر يوم من عمره ، يقرأ كل يوم

[1]-حياة الرافعي ،محمد سعيد العريان ،القاهرة ،د،ت.

[2]-نفس المرجع ص 33.

[3]-وحي القلم ،الجزء3، ص 28.

[4]-حيا الرافعي ،ص 32

ثماني ساعات متواصلة لا يمل ولا ينشد الراحة بجسده و أعما به ، كأن التعليم في أوله لا يرى أنه وصل منه إلى غاية .[1]

وأخذ الرافعي ينهي ثقافته بعصاميته ،وقد وضع كتب التراث أساسا ومحورا لها بالإضافة إلى بعض القراءات المترجمة ،لكن ظل تبعا ثريا ينهل منه حتى أنه استطاع بفضل الله تعالى أن يكتب " تاريخ آداب العرب " من وحي ذاكرته التي جمع فيها شتات قراءته ، وهكذا وصل الرافعي بعمق ثقافته في التراث إلا أن يكتب كتابا من ذاكرته ، يقع في ثلاث مجلدات ، وما هو إلا توفيق الله له ، أعانه على أن يبعث أروع الادب في هذه الامة من جديد[2].

وهكذا نرى أن الرافعي يتكئ في ثقافته على التراث العربي الإسلامي ،وأنه إلى ذلك أحاط خبرا بما لدى الآخرين ولكنها الاحاطة التي لا تفضي إلى ذوبان و التبعية ، و إنما هي الاحاطة تمنح العقل قوة وطاقة و عافية يعود بها إلى تراثه أوفر ما يكون نشاطا ، وأحد ما يكون بصيرة ، ومن خلال هذه البنية الثقافية نستطيع أن نلمس المؤثرات في أسلوبه ولغته ،فأوله : كتاب الله عز وجل وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم. وثانيهما : ماحفظه من تراث العرب وبيان فصحائهم وكثرة قراءته في كتب الجاحظ وابن المقفع وأبي الفرج.[3].

2/العصامية وغياب الأكاديمية :

بدأ تعليم الرافعي منذ صغره ، وكحاله من أفراد أسرته فقد كان النهج في التربية يبدأ من تهذيب الطباع من خلال التنشئة على احترام كبار السن ،والطاعة ، وتعظيم الدين ،فكانت الأسرة تسعى لجعله ممن يسيرون إلى طريق السلف الصالح ، وبعد أن تجاوز العاشرة من عمره بسنة أو سنتين

[1]-حياة الرافعي ،و الرافعي الكاتب ،ص 45.

[2]-مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، المجلد الأول ،ص 155.

[3]-تحت راية القرآن ص 26.

دخل مدرسة دمنهور الابتدائية ، ثم انتقل بعدها إلى مدرسة المنصورة ، لانتقال أبيه للعمل في محكمة منصورة ، وكان ممن غني بتدريسه هناك العلامة الأستاذ مهدي خليل ، وكان يدرسه اللغة العربية[1].

حصل الرافعي على الشهادة الابتدائية من مدرسة المنصورة حين بلغ سن السابعة عشر تقريبا، وفي هذا العام أصيب بمرض أثر لاحقا في صوته و أذنيه ، فجعله هذا ينقطع عن تعليمه بعد التعليم الابتدائي ،ولم يستطع علاج ما أصاب أذنيه حتى وصل سن الثلاثين وهو فاقد السمع، فانتقل الرافعي للتعلم بنفسه ، وكان أبوه يمتلك مكتبة مليئة بكتب الفقه ،و الدين ، و اللغة العربية و التي تعد من النوادر ، فجالسها طويلا مبتعدا عن الناس و أصواتهم ، وكان لها من الأثر الكبير على الخلفية المعرفية له ، وكان فقدانه للسمع دافعا قويا للتعلم ، فكان يقول :" إن كان الناس يعجزهم أن يسمعوني فليسمعوا مني " فتعلم حتى أصبح أديبا ، وإنسانا يسير على فكر السلف الصالح و أرائهم[2].

لم يحمل الرافعي تعليمه حتى الجامعة فكان حاصل على شهادة الابتدائية فقط مثل العقاد كما كان صاحب عاهة أيضا ، لكن بالرغم من هذه الظروف القاسية كان لدى الرافعي طموح كبير و إرادة قوية فعلم نفسه بنفسه واجتهد كما ساعده والده أيضا.

بدأ الرافعي أولى وظائفه في محكة طنطا الشرعية ككاتب فيها وذلك في عام 1899م ، ثم اتنقل بعد ذلك ليعمل في محكمة إتياي البارود الشرعية ، ثم انتقل بعد سنتين إلى محكمتها الأصلية وبقي فيها حتى آخر حياته ، وكان الرافعي مرجعا لكتاب المحاكم التي يعمل فيها ، فيأخذون مشورته فيما يختارون فيه من القضايا و الإشكالات المختلفة ، حتى وصل الأمر إلى قيامه بذلك عبر دول مختلفة ،وكانت وزارة العدل تستفتيه فيما يشكل عليها من الأمور.[3]

[1]-محمد سعيد العريان ،حياة الرافعي ،الطبعة 3،11955،مصر ، المكتبة التجارية الكبرى ،ص 23-28-32-59-63-34-40-342.

[2]-مصطفى صادق الرافعي ،وحي القلم ،بيروت ،المكتبة العصرية ،ص ،الجزء الأول.

[3]-الأدب الجاهلي بين مصطفى صادق الرافعي وطه حسين ،الطبعة 7 ،ص 324،الجزء 16.

عند بدأ الرافعي في مسيرة الأدب و الشعر وجه إعتراضه على الشعر العربي التقليدي الرتيب في الأدب العربي قائلا :" إن في الشعر العربي قيودا لا تتيح له أن ينظم بالشعر كل ما يريد أن يعبر عن نفسه " وكان يقصد بالقيود الوزن و القافية ، لم يسبق لأي شاعر آخر أن يعترض على الشعر العربي القديم ،حيث غيرت وقفة الرافعي على تغيير إتجاه بعض الشعراء الآخرين فيما بعد يدعون إلى تحرير الشعر من قيود الوزن و القافية جزئيا أو كليا.

بدأ الرافعي أولا في النثر الشعري فكان مقيد بالوزن و القافية حيث عبر الرافعي عن عواطفه المختلفة في حدود الأخلاق و الدين ، لكنه إتجه نحو كتاب الدراسات الأدبية ومن أهم و أشهر ما كتب " كتاب تاريخ آداب العرب " سنة 1911م حيث ظهرت موهبته الرائعة في الكتابة ثم اطلق كتابه الثاني وهو " تحت راية القرآن " حيث تحدث فيه عن الإعجاز القرآني ، بعد ذلك توجه الرافعي إلى مجال "المقال" حيث برزت فيه موهبته واشتهر و أصبح من أشهر الشعراء العرب في جيله ، حيث ابدع في هذا المجال وجمع العديد من مقالاته في كتاب "وحي القلم " الذي أفرغ فيه خلاصة أفكاره وتجاربه.

درجة التفاعل مع الثقافة العربية :

يمثل مصطفى صادق الرافعي ركنا مهما من أركان الثقافة العربية ، وعلامة بارزة في أدبنا العربي الحديث بوجه عام ، وأحد أهم رواد نثرنا الحديث بوجه خاص ،حاصل على ثقافة وافرة هيأت له هذا البيان العجيب الذي يحيل كل ما يكتب إلى نبع من المشاعر و الأحاسيس بأسلوب راق خالص.

إن اللغة هي الترسانة الثقافية التي تبني الأمة وتحمي كيانها يقول مصطفى صادق الرافعي : " إن اللغة مظهر من مظاهر التاريخ و التاريخ صفة الامة ، كيفما قلبت أمر اللغة ،من حيث اتصالها بتاريخ الأمة واتصال الأمة بها —وجدتها الصفة الثانية التي لا تزول إلا بزوال الجنسية و إنسلاخ الأمة من تاريخها ".

فاللغة —عند العرب — معجزة الله الكبرى في كتابه المجيد ، فلذلك قد حمل العرب الاسلام إلى العالم، وحملوا معه لغة القرآن العربية ، فاللغة العربية أقدم اللغات التي مازالت تتمتع بخصائصها من ألفاظ و تراكيب وصرف ونحو و أدب و خيال يقول مصطفى صادق الرافعي : " إنما القرآن جنسية لغوية تجمع أطراف النسبة إلى العربية ، فلا يزال أهله مستعمرين به ، متميزين بهذه الجنسية حقيقة أوحكما"[1].

فاللغة عند مصطفى الصادق الرافعي هي روح الأمة وثقافتها ، ومرجعيتها في الحفاظ على تراثها ، إن ما تمثله اللغة من دور حيوي في حياة الأمة وما تؤدي به إلى اندثار لها بفقدانها جعل الرافعي يكتب العديد من المقالات تنديدا باللغة العامية ومخاطرها الجسيمة و التي إذا ما شاعت في الأمة ذهبت وحدتها وتفككت أوصالها ، وقد كان من بين هذه الكتابات ردوده العنيفة على طه

[1]–مصطفى صادق الرافعي ،محمد سعيد العريان ،القاهرة ،د،ت.

حسين فيما يتعلق بهذا الشأن وبخاصة فيما وصفه بالمعركة بين القديم و الجديد ، فالمذهب القديم ، كما يصفه الرافعي هو ان تكون اللغة لا تزال لغة في أصولها و فروعها...

وأن يكون الدين العربي لا يزال هو هو كأنما نزل به الوحي أمسى لا يفتننا فيه علم و لا رأي وأن يأتي الحرص على اللغة من جهة الحرص على الذين من جهة أخرى [1].

إنما ثقافته بعصابيته وقراءاته من كتب التراث و القراءات المترجمة ،حيث وضع القرآن الكريم و البلاغة النبوية في المرتبة الأولى من ثقافته وفكره ،وكتب الرافعي ، وكان يرى أن اللغة العربية بخصائصها المميزة هي روح الأمة ،وهي قوام فكرها ووعاء ثقافتها ، ويجب أن تصان عن الاسفاف و الابتذال.

اللغة العربية لغة خالدة عريقة فيها من البيان و السحر ما لا يوجد في لغة من لغات العالم الأخرى، و التنكر لها إنما هو هدم لأبنيتها ونقص قواعدها (إن هذه العربية بنيت على أصل سحري يجعل شبابها خالدا عليها، فلا تهرم ولا تموت ،لأنها أعدت منذ الأزل فلكا دائرا للنيرين الأرضيين العظيمين : كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن ثمة كانت فيها عجيبة من الاستهواء كأنها أخذة سحر ،لا يملك معها البليغ أن يأخذا أو يدع).

ولقد كان أديبنا الرافعي على سعة من المعرفة و العلم بأن أعداء العقيدة الاسلامية و المستعمرين يستهدفون النيل من اللغة العربية لأنها لغة القرآن ، فهما توأمان لا يفترقان ، ولا تعتبر نهضة الشرق العربي قائمة على أساس وطيدا إلا إذا نهض بهما الركنان الخالدان الدين الاسلامي و اللغة العربية، وهو يوضح هذا الأمر بقوله :" لا جزم كانت لغة الأمة هي الهدف الأول للمستعمرين فلن يتحول الشعب أول ما يتحول إلا من لغته إذ يكون منشأ التحول من أفكاره و عواطفه و أماله وهو إذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسب ماضيه وما خلت لغة شعب إلا ذل ولا انحطت إلا

[1]-مصطفى صادق الرافعي ،تحت راية القرآن الكريم ،المعركة بين القديم و الجديد ، القاهرة ،مكتبة مصر ،1999،ص 15-16.

كان أمره في ذهاب و إياب ، ومن هذا يغرض الأجنبي المستعمر لغته فرضا على الأمة المستعمرة ويركبهم به .

ومادامت اللغة العربية تضم هذه الخصائص الرفيعة التي ساقها الرافعي ،كان أمرا طبيعيا ، أن تكون هدفا للمستعمرين يحاربونها ويحاولون القضاء عليها وتشويهها واستعداء عملائها من أبنائها عليها ، ولقد أخذ الرافعي على عاتقه الذود عن حياض اللغة العربية وصونها من كل شائبة ،وإبراز البيان الألهي المتمثل بالجملة القرآنية على ساحة الأدبية فتراه يقول :" إنما القرآن جنسية لغوية تجمع أطراف النسبة إلى العربية فلا يزال أهله مستعمرين به ، متميزين بهذه الجنسية حقيقة أوحكما ،ولولا هذه العربية التي حفظها القرآن على الناس ،وردهم إليها و أوجبها عليهم لما اطرد التاريخ الاسلامي ولا تراخت به الأيام إلى ما شاء الله[1].

إن اهتمام الرافعي الكبير بالتراث الاسلامي ، يعود لإيمانه الراسخ بأن هذا التراث يشكل ترياقا ضد تغول الثقافات الأخرى ، وهو أمر كان يخشاه ، ويشدد على ضرورة الانتباه إليه ، وحق في أدبه لم ينفك على هذا المسار ، فقد كان يدعوا دائما إلى الأخلاق دينية إسلامية ،وعمل على غرس المعاني الاسلامية في نفوس وعقول الناشئة من المسلمين.

وكانت كتب التراث بالنسبة له ،الأساس الذي يجب أن يستند إليه كل من أراد اللغة و الأدب ، وهي مصدر قوي يحمي من كل الأفكار الوافدة ،وهي الأفكار التي كان يخشى الرافعي أن تصيب اللسان بالعجمة ، والعقول أيضا من خلال التأثر بها ، وكان ذلك واضحا من خلال المعارك الفكرية التي خاضها في الجانبين الأدبي و الديني ، حيث كان يرى في ذلك التأثر الكبير بالثقافة الغربية ، محاولة للنيل من التراث ،ومن اللغة العربية ومن أصالتها ، وكان يدخل تلك المعارك وهو يحمل راية الدفاع عن اللغة العربية و الاسلام ، ويتضح ذلك جليا في كتابه " تحت راية القرآن "،

[1]-مصطفى صادق الرافعي :تحت راية القرآن الكريم ، الطبعة السابعة 1394هـ-1974م.

الذي خصصه للرد على كتاب عميد الأدب العربي طه حسين " في الشعر الجاهلي " الذي واجه منذ صدوره موجة عاتية من النقد و الجدال في نواح فكرية ودينية و أدبية ، وكان الرافعي من أبرز المفكرين الذين ردوا على ما طرحه حسين من أفكار مؤلفة ، حيث فند ما جاء فيه بشكل تفصيلي ،ورد الحجة بالحجة ، معيدا الاعتبار للتراث العربي القديم.

الاعتماد على المصادر التراثية :

1-نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني :

تعد نظرية النظم احدى أهم النظريات في التنظيم ،والتي جاءت بعد عدة نظريات سبقتها مثل النظرية الكلاسيكية و النظرية السلوكية ،والنظرية الموقفية ،فنظرية النظم تأتي في إطار النظريات الحديثة التي تقوم على أساس نقد النظريات السابقة .

يرجع تأسيس نظرية النظم إلى عبد القاهر الجرجاني وترتكز فكرة نظريته فيه على أسس معينة ولعل أهمها علم النحو الذي يعنى بالألفاظ و التراكيب ، ويقصد بالنظم توخي معاني النحو وفقا للأغراض التي يصاغ منها الكلام وبالتالي فإن معاني النحو هي التي تتعلق بالفكر.

فالنظم لغة : ورد في لسان العرب من مادة نظم :التأليف :نظمه ،نظما ،ونظاما ونظمه فانتظم وتنظم و نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السبك ،والتنظيم مثله ومنه نظمت الشعر ونظمته ...وكتب شيء قرنته بأخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته [1].

النظم اصطلاحا :يختلف مفهوم النظم من باحث إلى آخر باختلاف تخصصاتهم النظم هو تأليف الكلمات و الجمل مترنية المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل ،وقيل الألفاظ مترنية المسوقة المعبرة ودلالاتها على ما يقتضيه العدد"[2].

[1]-ابن منظور ،لسان العرب ،تحقيق :عبد الله علي الكبير و آخرون مادة نظم ،دار المعارف ،القاهرة ،ج5،ص 4469.

[2]-الشريف الجرجاني ،كتاب التعريفات ،مكتبة لبنان –بيروت ،طبعة جديدة ،1985،ص 261.

وقدم قدامة بن جعفر تعريفا للنظم فقال :" ومن أنواع إئتلاف اللفظ مع المعنى مساواة ،وهو أن يكون اللفظ مساويا للمعنى حتى لا يزداد عليه ولا ينقص عنه لا بفضل أحدهم على الآخر [1].

تميز القرن الخامس الهجري بنضج العلم و التأليف و الابداع ،حيث تكاملت فيه شتى علوم العربية من نحو وبلاغة وفقه وغيرها ،ومن أهم ما تميز به هذا العصر ولادة نادرة البطون ،ونابغة البلغاء ورئيس حلبة الفصحاء أبو بكر عبد القاهر الجرجاني ،الذي ولد في مطلع القرن الخامس هجري ،وهو من أصل فارسي من أهل جرجان الواقعة في شمالي ايران بين طبرستان وخرسان ، قرب بحر الخزر وهذا سبب إلى جرجان ،فقيل الجرجاني [2].

ولقد شرح عبد القاهر الجرجاني نظرية النظم في كتابه دلائل الاعجاز وعرضها عرضا واسعا ،ففي مقدمة يعرف النظم بأنه (تعليق الكلم بعضها ببعض ،وجعل بعضها بسبب بعض ،والكلم ثلاث :اسم وفعل وحرف ،وللتعليق فيما بينها طرق معلومة ،لا يعدو ثلاثة أقسام :تعلق اسم باسم ،تعلق اسم بفعل ،تعلق حرف بهما ،وبذلك كان أول ربط بين النظم وعلم النحو ،ولابد من مراعاة المعاني النحوية و الصرفية وتقبل المجتمع لهذا النظم الجرجاني معتزلي وليس اشاعري.

إن الباحث المتتبع لدراسة عبد القاهر الجرجاني لنظرية النظم يرى أنه جعل النظم أساسا للنقد ومرجعا لبيان القيمة الفنية في العمل الأدبي ، كما أنه جعل من النظم قوانين ترشد الذوق العربي إلى الكشف عن مرتبة الكلام.

وقد بذل أقصى جهده لتستقر فكرته في العقول ،حتى أضحت نظريته السليمة مرجع النقاد و الباحثين ، فقد صنع ميزانا يستطيع به الناقد أن يزن الصورة البيانية ،ويرد عناصرها البلاغية إلى طريقة التأليف للعبارات ،ومنه استمدت فكرة البنية العميقة و البنية السطحية التي نادى بها اللغويين الغرب

[1]–قدامة بن جعفر ،نقد الشعر ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،1982 ،ص 171.

[2]–عبد القاهر الجرجاني –دلائل الاعجاز–تعليق محمود شاكر –مكتبة الخانجي بالقاهرة ،المقدمة.

مثل :تشومسكي ،و أرسخ كذلك فكرة التعليل لكل ما تستحسنه أو تستقبحه فيقول :" لابد لكل كلام تستحسنه و لفظ تستجيده من أن يكون لاستحسانك جهة معلومة وعلة معقولة "[1].

القرآن أعلى مراتب البلاغة و الفصاحة و البيان ،ومن و إليه فطن عبد القاهر الجرجاني إلى نظريته ، وقد نزل القرآن على أفصح الناس لسانا فتحداهم فأعجزهم ،فلم يستطيعوا أن يأتوا بمثله ،ولا أن يأتوا بسورة أو بآية ،فأبانوا عن حجز واستلام ،ولكن يبقى السؤال المطروح ما الذي أعجزهم فيه ؟ أعني معان دقيقة صحيحة قوية ؟ أم ألفاظه المحكمة الفصيحة ؟ أجاب الجرجاني عن سر عجز العرب عن الاتيان بمثله ، وسر إعجابهم به فقال :" أعجزهم مزايا ظهرت لهم في نظمه ، وخصائص صادفوها في سياق لفظه ،وبدائع راعتهم من مبادئ آية ومقاطعها ، ومجاري ألفاظها ومواقعها وفي مضرب كل مثل ،ساق كل خبر ،وصورة كل عظمة وتنبيه واعلام ،وتذكير و ترغيب و ترهيب ، ومع كل حجة و برهان ،وصفة وتبيان ، وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة ، وعش عشرا ،وآية آية ، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو مكانها ،ولفظة ينكر شأنها ويرى أن هناك أصلح هناك أو أشبه ، أو أحرى ، بل وجدوا اتساقا بهر العقول ،و أعجز الجمهور ، ونظاما والتئاما واتقانا ،واحكاما ، لم يدع في نفس البليغ منهم – ولوحك بيافوخه السماء–موضع طمع ،حتى خرست الألسن عن أن تدعي وتقول "[2].

عند مصطفى صادق الرافعي : لقد تناول الرافعي النظم كما رآها ، فقد كان تناولا مرتبا وموضوعيا و منطقيا ، ممزوجا لدراسة تطبيقية على نماذج متنوعة من التعبير البياني في القرآن الكرين ،في محاولة لإبراز معالم الجمال و الكمال المعجز في آيات الله المحكمات.

كذلك إذا كان عبد القاهر الجرجاني قد عني في نظريته بالكلمة المفردة قبل أن تدخل في تركيب إلا بقدر ما تكون مألوفة غير مبتذلة في اللسان ،فلعله رأى ذلك لان الإعجاز في نظره لا

[1]–دلائل الاعجاز –عبد القاهر الجرجاني –ص 85.

[2]–نفس المصدر ص 84.

يرجع إلى تلك الكلمة المفردة ، لأن جميع ما في القرآن من ألفاظ قد نطق بها العرب ، وأن القرآن لم يأتي منها بجديد يجهلونه ،و إنما الجديد الذي أعجزهم هو تأليفها ونظمها ،ولهذا انصرف إلى نظم بمعناه الذي ارتضاه.

أما الرافعي فقد عني أيضا بالكلمة المفردة في النظم ،ولعل منشأ تلك العناية ما كان يستشعره من أن القرآن الكريم كما هو معجز في نظمه وتركيبه ،فهو معجز أيضا في ايحائه وتصويره ،وقد تكون الكلمة الواحدة من الجملة أو الحرف الواحد من الكلمة أبلغ في الإيحاء و التصوير من تركيب متعدد الكلمات و الجمل ، وتلك هي الروعة البالغة الإعجاز .

ومن هنا كانت عناية الرافعي بالنظم في مفهومة الأدق و الأشمل عنده ،عندما رأى في الكلمة الواحدة، وما قد يوحي به الجرس في تركيب حروفها من دلالات متصلة بحكاياتها للمعنى من قوة أو ضعف ، الأمر الذي يعطيها إيحاء معينا وبريقا خاما له أثر البالغ في النفوس ،ومن أجل ذلك قامت دراسته لهذه الفكرة على أساس تلك الامور الثلاثة منها :

أ-الحروف و أصواتها

ب-الكلمات وحروفها

ج-الجمل وكلماتها

وكانت تلك الدراسة الواعية الدقيقة التي تنم عن مدى التذوق الأدبي و الفهم الذكي من جانب الرافعي لهذه العربية بحروفها و أصواتها وجمالها وروعة إيحائها ودقة تصويرها تلك العربية التي اختارها الله تعالى لتكون لسان كتابه المحكم و الحكيم.

أما في الجانب التطبيقي لفكرة النظم عند الرافعي فقد بدأ الرافعي تفصيله كتوضيح فكرته بدراسة هذا النظم أولا في الحروف و أصواتها ،ذلك لأن الحروف بما يصدر عنها من أصوات.[1]

[1]-راجع الفصاحة لابن سنان الخفاجي ،دار الكتب العلمية بيروت –طبعة 01،سنة 1402هـ.

ومن ثم نراه يبين أن وضع الحروف ذاتها قد استلفت أذهان العرب ، إذ أنهم لما قرئ عليهم القرآن وأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جمله ألحانا لغوية رائعة ، كأنه لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة ، قراءتها هي توقيعها وايقاعها ، فلم يفه هذا المعنى ،وأنه أمر لا قبل لهم به ، وكان ذلك أبين في عجزهم ، حتى إن من عارضه منهم كمسيلمة جنح في خرافاته إلى ما حسبه نظما موسيقيا أو بابا منه ، وكأنه فطن إلى أن الصدمة الاولى للنفس العربية إنما في أوزان الكلمات و أجراس الحروف دون ما عداها، وليس يتفق ذلك في شيء من كلام إلا بأن يكون وزنا من الشعر أو السجع.

وللتأكيد من صحة هذه الدعوى يضع الرافعي بين أيدينا ميزانا دقيقا وعلميا في الوقت ذاته ، إذ يدعوا الى تناول أي قطعة مما أبدعه فصحاء العرب في نثرهم وترتيلهم على طريقة التلاوة في القرآن ما تراعى فيه أحكام القراءة وطرق الأداء ،فلا بد و الحالة هذه من الاحساس بالفارق الكبير بين النظم و النظم ، بل لا بد من الشعور بالنفص الكبير في كلام البلغاء وانحطاطه في ذلك عن رتبة القرآن ،بل و أكثر من هذا ،فإن محاولة الترتيل و التحسين لما يتناول من كلام البلغاء تذهب رونقة و جماله وحسبك بهذا اعتبار في اعجاز النظم الموسيقى في القرآن وإنه مما لا يتعلق به أحدا ولا يتفق على ذلك الوجه الذي هو فيه إلا فيه لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها ومناسبة بعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس و الجهر و الشدة و الرخاوة و التفخيم و الترقيق وغير ذلك من صفات الحروف.

وليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وان هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت بما يخرجه فيه مدا أو غنة أو لينا أو شدة ، وبما يهيء له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها ، ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز و الاجتماع ،أو الإطناب و البسط بمقدار ما يكسبه من العدة و الارتفاع و الاهتزاز وبعد المدى ما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صورة تامة الأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقا عجيبا ،يلائم

نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب وهذه هي طريقة الاستهواء الصوتي في اللغة و أثرها طبيعي في كل نفس ولو نزل القرآن يغيرها لكان ضربا من الكلام البليغ الذي يطمع فيه أو في أكثره ،فتألقت كلماته من حروف لو سقط واحد منها ،أو بذل بغيره أو أقحم معه آخر لكان ذلك خللا بينا[1].

ولعل الرافعي بهذا الكلام يعد أول من أثار فكرة الاعجاز بالنظم من طريق الايقاع الصوتي للآيات المحكمات ،وهو ذلك الإعجاز النابع من دقة الالتئام و التناسق بين كل من الحروف في كلماتها ، والكلمات في جملها و الجمل في تراكيبها على نحو لا شبيه له ولا نظير.

ومع انتقال الرافعي إلى هذه المرحلة في النظم نجده لا يزال على صلة بالتركيب الحرفي للكلمة ، ومن ثمة يشير إلى الايقاع الصوتي للحروف وما قد يوحي به من معان ويشير إليه من دلالات لها في النفس و الحس معا .

ثم يتحدث عن العلاقة الدقيقة بين المعنى و لفظة بما يصدر عنه من صوت الحروف فيه ، فيقول : "لا جزم أن المعنى الواحد يعبر عنه بألفاظ لا يجزئ واحد منها في موضعه عن الآخر إن أريد به شرط الفصاحة ، لأن لكل لفظ صوتا ربما أشبه موقعه من الكلام ومن طبيعة المعنى الذي هو فيه و الذي تساق له الجملة ،وربما اختلف وكان غيره بذلك أشبه.

وبهذا يمهد الرافعي لبيان أهمية الكلمة القرآنية ووضعها في محلها اللائق بها ، بعد أن بين الدقة في وضع الحروف فيها بما يتناسب و المعنى المراد.

ويجئ دور الأمثلة التي يوضح بها الرافعي ما يريد تقريره فيقول :" ولو تدبرت ألفاظ القرآن في نظمها لرأيت حركاتها الصرفية و اللغوية تجئ في الوضع و التركيب مجيئ الحروف أنفسها فيما هي له

[1]-الباقلاني /أبو بكر اعجاز القرآن –تح –أحمد مقرر- دار المعارف ،مصر-د ط-سنة 1374هـ/1954م ص 222-229.

من أمر الفصاحة ويهنئ بعضها لبعض ،وساند بعضها لبعض ،ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف مساوقة لها في النظم الموسيقي ".

ومن ذلك لفظة "النذر" جمع نذير فإن الضمة ثقيلة فيها لتواليها على النون و الذال معا فضلا عن جشأة هذا الحرف ونبوة في اللسان وخاصة إذا جاء فاصلة الكلام ،لكل ذلك مما يكشف عنه و يفصح عنه موضع الثقل فيه ، ولكنه جاء في القرآن على العكس وانتقى من طبيعته في قوله تعالى :" وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ " .فتأمل هذا التركيب وتذوق مواقع الحروف ،وأجر حركاتها في حسن السمع ،وتأمل مواضع القلقلة في الدال (لقد) و في الطاء من (بطشتنا) وهذه الفتحات المتوالية فيما وراء الطاء إلى الواو (تماروا) مع الفضل بالمد كأنه تثقيل لخفة التتابع في الفتحات إذا هي جربت على اللسان ليكون ثقل الضمة عليه مستخفا بعد ، ولتكون هذه الضمة قد أصابت موضعها، ثم ردد نظرك في الراء (النذر). [1]

[1]-المصدر نفسه ص 230.

الفصل الثاني

التحليل الإبيستمولوجي

تمهيد :

مصطلح الإبيستمولوجيا يعود أصله لكلمة يونانية الأصل ،وهي :epistemology ، كونه من مقطعين episteme وهي تعني المعرفة ، و logos وتعني نظرية أو دراسة أو فلسفة ، وبتركيب هذين المقطعين تصبح معنى الكلمة نظرية المعرفة ، أو دراسة المعرفة ، ظهر مصطلح الابستمولوجيا بعد الفلسفة الكانطية في القرن التاسع عشر ،حيث تعددت اصطلاحات الفلاسفة حول كلمة ابستمولوجيا ، حيث يعرفها لالاند بقوله : "هي فلسفة العلوم لكن بمعنى أكثر دقة ، فلا تخص فقط دراسة المناهج العلمية التي هي موضوع الميتودولوجيا وهي التي تعد جزء من المنطق ، كما أنها ليست تركيبا أو توقعا حدسيا للقوانين العلمية على الطريقة الوضعية أو التطورية ، إنها في جوهرها الدراسة النقدية لمبادئ وفرضيات و نتائج مختلف العلوم ، الهادفة إلى تحديد أصلها المنطقي لا النفسي وقيمتها ومدى موضوعيتها[1].

تعتبر نظرية المعرفة أحد فروع الفلسفة الذي يدرس طبيعة ومنظور المعرفة ، يعتقد أن من صاغه هو الفيلسوف الاسكتلندي جيمس فريدريك فيرير (1808-1864) حين ألف كتابه مبادئ "الميتافيزيقا" إذ قسم الفلسفة فيه إلى قسمين : أنطولوجيا و إبستمولوجية ، معظم الجدل و النقاش في هذا الفرع الفلسفي يدور حول تحليل طبيعة المعرفة وارتباطها بالترميزات و المصطلحات مثل :الحقيقة، الاعتقاد ،التحليل ، التعليل (التبرير).

تدرس الابستمولوجيا أيضا وسائل انتاج المعرفة ،كما تهتم بالشكوك حول المعرفة المختلفة بكلمات أخرى تعادل الابستمولوجيا أيضا وسائل انتاج المعرفة ،كما تهتم بالشكوك حول المعرفة المختلفة ، بكلمات أخرى تحاول الإبستمولوجيا أن تجيب عن الأسئلة : " ماهي المعرفة ؟ كيف يتم

[1] -la lande : voesulaire technique et critique de la philosophie, Paris, 1986, Page 293.

الحصول على المعرفة ؟" ، ومع أن طريق الاجابة عن هذه الأسئلة يتم بإستخدام نظريات مترابطة فإنه يمكن عمليا فحص كل من هذه النظريات على حدة[1].

يرى محمد عابد الجابري أن التراث يستدعي قراءة إبستيمولوجية تستوجب الحفر فيه ، قصد إعادة بنائه وتشكيله و التواصل معه ، ولذلك قام الخطاب الابستمولوجي عند الجابري على ما حصل لديه من قناعة راسخة مؤداها أن تجديد الفكر العربي أو نقد العقل العربي ،لا يمكن إن يتم فقط بالدعوة إلى استعمال مناهج جديدة وشرحها ،لكنه يتطلب استعمالا عقلانيا لهذه المناهج وتوظيفها تحليليا في دراسة التراث ، فجاءت منهجيته في فحص متون التراث مبنية على استلهام الطريقة التي اتبعها ما بعد الحداثيون في قراءة النص ، وتجاوزها بالقراءة المطابقة التي تعيد تأسيسه انتصارا للروح العلمية ، ترخيسا لأخلاقيات الحوار ،ولذلك فإن فكر محمد عابد الجابري من حيث المنهجية الابستيمولوجية من حيث مفهوم الاطار التاريخي للحداثة وما بعد الحداثة ومنهج التعامل معها جاء متأثرا بمنطلقات المنهجية الأوروبية ، إن الأنسان هو بالضرورة حامل لتراثه بشكل واع أو غير واع ، لذلك هو في حاجة إلى معرفة هذا التراث ،والاتصال به ،والتواصل معه ،فمعرفة التراث معناه عند الجابري ، أن نحتويه بدل أن يحتوينا ، ولكي نحتويه يلزم أن نضعه في مكانه التاريخي ، وذلك بتحليله تحليلا إبستيمولوجيا ،يتساءل الجابري في كتابه " نحن و التراث" كيف نتحرر من سلطة التراث علينا؟ كيف نمارس نحن سلطتنا عليه ؟ تلك هي مهمة المنهج التحليلي ،أي تحليل البنية عبر كشف الغطاء على العلاقات القائمة بين عناصرها بوصفها منظومة من العلاقات الثابتة في إطار بعض التحولات ،إن تحليل البنية معناها القضاء عليها بتحويل ثوابتها إلى تحولات ليس غير ، هذا النوع من التحليل عند الجابري ما يسميه ب " التفكيك "[2]

[1]-أحمد البرقاوي ، الابستيمولوجية ،الموسوعة العربية ،ص3.

[2]-محمد عابد الجابري ،نحن و التراث ،قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي ،دار الطليعة للطباعة والنشر ،بيروت ،المركز الثقافي العربي ،دار الطليعة ،بيروت،ص 409-411.

هل يمكن التعامل مع التراث العربي بقراءة ابستيمولوجية ؟ لعلها أهم إشكالية تواجه التوظيف المنهجي عند الجابري في تعامله مع التراث ، فالقراءة الابستيمولوجية و إغراء مفاهيمها ، جعلت المشتغلين بها يميلون أحيانا إلى الاعتقاد بإمكانية أن تتحول إلى بديل مطلق ، وإلى رؤية شاملة للعلم أو إلى نسق كلي ، أو باختصار إلى ابستيمولوجيا العلم هكذا بدون تخصيص.

والحقيقة أن كل ابستيمولوجيا هي ابسيمولوجيا قطاعية ، فلا مسوغ للكلام عن الابستيمولوجيا كنظرية لسائر المعارف العلمية ،ولا مبرر لازدراء التاريخ الفعلي لكل ممارسة نظرية معرفية على حدة ،لأن متابعته في تفاصيله هي وحدها الكفيلة ببناء ابستيمولوجياته ،ولهذا يؤكد طه عبد الرحمن أن الآليات التي استعملت في القراءة الابستيمولوجية للتراث هي آليات استهلاكية أي أدوات مفصولة عن أسباب انتاجية هذه المضامين ، منقولة إليها من غيرها نقلا ،وعليه فلا يمكن أن تكون الوسائل الواصفة التي استخدمها في تعامله مع التراث من جنس هذه الآليات التحتية ،وإنما هي مستمدة من التراث الآلي الغربي.

فالقراءة الابستيمولوجية للتراث ستؤدي في النهاية إلى إقصاء هذا التراث في صيرورته التاريخية و الاجتماعية ، هذا ما دفع طيب تيزيني إلى اعتبار هذا النوع من الدراسة يقصي الأعمال الفكرية التراثية من الانتاج الفلسفي حيث يقول :" يلاحظ أنها تتأسس فيما تتأس على مفهوم للقطيعة الابستيمولوجية الذي يدرس الدعوة إلى إقصاء التاريخ و السياق التاريخي ،لصالح البنية و الانفصال ،وبشيء من التدقيق و التمحيص يلاحظ أن ذلك يقود إلى العبث بقضية التراث الفلسفي الوطني و القومي.

إن الدعوة لتحرير العقل العربي بأليات ابستيمولوجية لن تكون لها أي قيمة أو معنى ما لم يتجه التحرير نحو الواقع الراهن الفكري و الثقافي و الاجتماعي الذي يعش أزمة تخلف مستمرة لقرون ومتواصلة منذ أجيال ،وهذا التحرير يتضمن رؤية تاريخية ومعرفية وهي محددات ابستيمولوجية معرفية بحتة ، أي أن التحرير إنما يتحقق أساسا بتحرير بنية العقل العربي تحريرا معرفيا ، إن التحليل

الابستيمولوجي لوقائع الفكر عملية بالغة الأهمية بغير شك ، ولكن الاختصار عليها وحدها ،يسقط هذا الحكم فيما يمكن أن نسميه بالنزعة الابستيمولوجية.

إن التحليل الابستمولوجي الذي يتسلح به الجابري في نقده للعقل العربي هو فضيلته الكبرى فالتحليل الابستيمولوجي هو بغير شك إضافة غنية إلى المناهج البعث في الفكر العربي المعاصر ،وفي استخدام الجابري له محاولة غير مسبوقة بهذا المستوى الرفيع من الاحاطة و العمق و اللمعان[1].

[1]-نفس المرجع ،ص 135.

المحتويات المعرفية في كتب الرافعي الخاصة بقراءة التراث :

مصطفى صادق الرافعي هو أحد أشهر الأدباء المصريين ، وتميز أسلوبه في الكتابة عن بقية الأدباء بالقدرة الكبيرة على التصوير و التشبيه و السرد ، وتميز بلغته القوية ، وأظهر في كتاباته التمكن الشديد منها ....وله العديد من المؤلفات الادبية و الفكرية ...وقلما تجد قارئا لا يعرف من هو مصطفى صادق الرافعي ، ولا يعرف قدرته على الوصف و التمثيل التي فاق بها أقرانه ،فكتب مصطفى صادق الرافعي مجموعة من الكتب التي تحتوي على المحتويات المعرفية الخاصة بقراءة التراث و أهمها :

1-**تاريخ أدب العرب** :هو كتاب في ثلاثة أجزاء :الأول : في أبواب الأدب ،و الرواية ،و الرواة، والشواهد الشعرية ،والثاني :في إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،اما الثالث :فقد انتقل الرافعي إلى رحمة ربه قبل أن يرى النور ،فتولى محمد سعيد العريان تلميذه إخراجه،

2-تحت راية القرآن : المعركة بين القديم و الجديد هو كتاب وفقه –كما يقول على تبيان غلطات المجد دين ،اللذين يريدون بأغراضهم و أهوائهم أن يبتلو الناس في دينهم و أخلاقهم ولغتهم ،وهو في الأصل مجموعة مقالات كان ينشرها في الصحف في أعقاب خلافه مع طه حسين الذي احتل رده على كتاب في الشعر الجاهلي معظم صفحات الكتاب.

3-وحي القلم :هو مجموعة من المقالات النقدية و الانشائية المستوحاة من الحياة الاجتماعية المعاصرة، والقصص ،والتاريخ الاسلامي المتناثرة في العديد من المجالات المصرية المشهورة في مطلع القرن الماضي مثل :الرسالة ،المؤيد ،البلاغ ،والمقتطف و السياسة وغيرها.

4-حديث القمر :هو ثاني كتب النثرية ،وقد أنشأه بعد عودته من رحلته إلى لبنان عام 1912م ، عرف فيها شاعرة من شاعرات لبنان (مي زيادة) ،وكان بين قلبيهما حديث طويل ،فلما عاد من رحلته أراد أن يقول ،فكان حديث القمر.

5-كتاب المساكين :هو كتاب قدم له مقدمة بليغة في المعنى ، الفقر و الاحسان و التعاطف الانساني ،وهو فصول شتى ليس له وحده تربطها سوى أنها صور من الآلام الانسانية الكثيرة الألوان المتعددة الظلال ،وقد أسند الكلام فيه إلى الشيخ علي الذي يصفه الرافعي بأنه "الجبل الباذخ الأشم في هذه الإنسانية التي يتخبطها الفقر بأذاه ،ولقد لقي هذا الكتاب احتفالا كبيرا من أهل الأدب.

6-على السفود :وهو كتاب لم يكتب عليه اسم الرافعي ،وإنما رمز إليه بعبارة إمام من أئمة الأدب العربي ،وهو عبارة عن مجموعة مقالات في نقد بعض نتائج العقاد الأدبي[1].

وكان الرافعي حريصا على أن تكون كتب التراث في مقدمة ثقافة الدارسين للغة و الآداب ، حتى يرتكز الأديب على ركن أصيل وتراث زاخر ،اعتقد الرافعي أنه صاحب وحي أدبي سماوي ،ورسالة بلاغية معجزة ، وأعلن ذلك تلميحا وتصريحا ،و أنشئ طربا بترويج كلام أناس يصفون كتبه بالإعجاز ،وبأنها وحي أو كالوحي حيث جمع مقالاته و أطلق عليها عنوان (وحي القلم) وهي تسمية بالغة الدلالة على ما يجيش في فكره وخاطره[2].

والمطلع على أبيات الرافعي يجد له تأثرا ببعض كتب التراث العربي و التاريخ مثل (كتاب الأغاني) وكتابات الجاحظ يقول العريان :" من الفائدة أن أشير إلى اثنين من أدباء العربية كان يقرأ لهما الرافعي أكثر ما يقرأ إلى آخر أيامه هما الجاحظ وصاحب الأغاني ،وكان يعجب بأدبهما، ويعجب لإحاطتهما وحسب رأي العريان فلم يستطع كاتب من كتاب العربية أن يحاكيه منذ كان ابن المقفع إلا الرافعي ، ولعل أول هذه المحاكاة كانت في مقالة من مقالاته في طه حسين وكان من عادة الرافعي أن يتناول كتابا من كتب التراجم الكثيرة بين يديه فيقرأ منها ما يتثقف.

[1]-حياة الرافعي ، محمد سعيد العريان ،القاهرة ،د،ت.

[2]- تحت راية القرآن ،ص135.

حيث يعثر على علم من أعلام التاريخ :فيدرس تاريخه ، وبيئته ، وخلانه ،ومجالسه،ثم يصطنع من ذلك قصة صغيرة يجعلها كالبلد[1].

2-الشواهد المستدعاة في التحليل :

ذكرنا من قبل أنهم قليلون هم أولئك اللذين سمعوا باسم أديب العربية و الاسلام العملاق "مصطفى صادق الرافعي " من الجيل الجديد من أبناء هذه الأمة.

وأن أقل منهم بكثير أولئك اللذين قرؤوا له أو تعرفوا عليه أو على إبداعه الأدبي و الفكري و الفلسفي ، إلى درجة أن المرء يكاد يوقن أن طبقات ،كثيفة من التعتيم غطّت على عطاء هذا الانسان المبدع حتى عند الأجيال السابقة ،وحتى عند من سمع أو قرأ له فيها.

وذكرنا أننا نهدف إلى أن نقرأ إنتاجه قراءة نبحث فيها عن بعض الجوانب الفلسفية العميقة التي تحتوي على إشارات ، فكرية و تربوية يبدو أن نجدها في الكتابات المعاصرة بهذا العمق وهذه الكتابة وهذا الأسلوب ،وذلك عبر عرض وتحليل بعص الفقرات الواردة في كتابه الأخير "وحي القلم"، عسى أن يكون هذا العرض خير شاهد ، على نوعية العطاء ، وأن يكون دعوة إلى قراءاته ودراسته بشكل، أكثر شمولا وإحاطة من قبل المهتمين.

وإضافة إلى المواضيع التي تحدثنا عنها في المقالة السابقة ، نرى في ذلك الكتاب كيف كان التفكير في الطبيعة و التأمل في ألاء الله المبثوثة في الكون موضوعا من المواضيع التي كانت تشغل الرافعي على الدوام.

وحتى في هذه المواضيع نلمح قدرته الخارقة على النفاذ إلى أعماق سحيقة من التأملات الفلسفية ، ربما لا يتجاوز أحسن الأدباء عند الحديث عنها مقام الوصف الجميل و العرض المتأنق ..أما عند الرافعي فالحديث شيء آخر ...ثم يمضي بعد برهة للتفكير في رموز الطبيعة ،ومحاولا فهم

[1]-حياة الرافعي :ص 254.

لغتها وادراك رسائلها التي ترسلها إلى كل من فتح الله قلبه و أنار عقله بأنوار الحكمة و اليقين ، يقول :" وماذا يفهم العشاق من رموز الطبيعة في هذه الازهار الجميلة ؟ أتشير لهم بالزهر إلى أن عمر اللذة قصير .

وبمثل هذه الكلمات يأخذنا الرافعي في رحلة رائعة ، تصل مابين عالم الطبيعة و الانسان من مسافات ،يضنها البعض شاسعة ،رحلة ،تظهر حقيقة الارتباط بين مختلف العناصر ،وحقيقة التناسق الجميل في المشهد الكوني الباهر الكبير .

ومن أجمل مقالاته تلك التي تأتي تعبيرا عن مشاعره في موقف ،شديد الخصوصية مثل تلك المقالة التي سطرها في مناسبة زفاف ابنته الأولى بعنوان " عرش الورد " ...وها هنا نرى قدرة الرافعي على التحليل الفلسفي العميق للمعاني الكامنة خلف المشاعر الانسانية بشكل ، ربما يزري بمحاولات علماء النفس و الاجتماع اللذين يلهثون بحثا عن تلك المعاني في إطارات ،ميكانيكية متحجرة ،من التعابير و المصطلحات اين منها سلاسة كاتبنا ودقة تصويره و عذوبة الفاظه ...فلنصغ إليه يحدثنا عن السرور و معانيه ،وكيف يكون ومتى يكون :لا يكون السرور دائما إلا جديدا على النفس ، ولا سرور النفس إلا من جديد على حاله ، من أحوالها.

وإن لم يكن هذا هو الأدب في قمة ارتقائه وهذه هي الفلسفة هي قمة عطائنا فما ندري ما يكون الأدب أو ماذا تكون الفلسفة ...أيكون الأدب ذلك الاستغراق المنهك في وصف لحظات اللذة المادية البحته بتفاصيلها التافهة ...تلك اللحظات التي تعتبر من اللحظات القليلة وربما الوحيدة التي يتساوى فيها الانسان بالحيوان ، أو بالأصح تتساوى فيها مشاعرهما و أحاسيسهما[1].

[1]-تحت راية القرآن ،ص 233.

الرد على أطاريح المفهوم :

1- معركة الرافعي مع طه حسين :

كانت حياة الرافعي سلسلة من المعارك ، فما يكاد ينتهي من معركة حتى يبدأ في معركة جديدة ضد معارضيه وخصومه ،ولقد ظهر أولئك المعارضون في الشرق بزعامة طه حسين ، هذا الأخير شن حربه ضد الرافعي ، حيث بدأت المعركة بينهما حينما أصدر الرافعي كتابه : "تاريخ آداب العرب " وانتقده طه حسين الذي لا يزال طالب علم في ذلك الحين في عام 1912م ، بمقال نشره بالجريدة مبدئيا أنه لم يفهم من هذا الكتاب حرفا واحدا ، فقال عن ذات الكتاب : " إن الرافعي قد فطن في كتابه لما يمكن أن يكون عليه تأثير القصص و انتحال الشعر عند القدماء ،كما فطن لأشياء أخرى قيمة "

ويقول أيضا :"...هذا الكتاب الذي نشهد الله على أننا لم نفهمه ...)[1].

هذا النقد لم يحرك شيئا لدى الرافعي مما جعل طه حسين يعيد النظر و يرجع برأي جديد (فاعترف بأنه لم يعجبه أحدا ممن ألفوا في الأدب إلا مصطفى صادق الرافعي ، فهو قد فطن لأشياء أخرى قيمة و أحاطها إحاطة حسنة في الجزء الأول من كتابه تاريخ آداب العرب).[2]

لم يلبث الرافعي مليا حق نشر الكتاب آخر بعنوان "رسائل الأحزان " سنة 1924م والذي لم يدم طويلا تأليفه سوى ستة وعشرون يوما (بدأ في يناير 1924م وانتهى منه مساءا 17 فبراير 1924).[3]

[1]-المرجع نفسه ص 127.

[2]-المرجع نفسه ص 68.

[3]-المرجع نفسه ص 127.

هذا الكتاب يروي قصة شقاء وحزن وهوس مجموعة في بضع رسائل ضمها في كتاب تحت عنوان رسائل الأحزان فكان رأي طه حسين إزاء هذا المؤلف كالتالي :"إن كل جملة في هذا الكتاب تحدث في نفسي شعورا مؤلما)[1].

لم يصمت الرافعي هذه المرة ورد عليه مستهزءا بقوله : (يسلم عليك المتنبي ويقول لك وكم عائب قولا صحيحا وآمنة من الفهم السقيم)[2].

ومن هنا يرفع الرافعي راية العداء ضد طه حسين ، واشتعلت نار الحرب عندما ألف طه حسين كتابه "في الشعر الجاهلي " بحيث قام يندد بما جاء في كتاب وأخذ يقلب صف[3]حاته بين الفينة و الأخرى ، ويتفحص فصوله وأبوابه ، وقد اجتمع رأيه في كتاب له بعنوان " تحت راية القرآن " فيقول عنه : (الكتاب له مملوء بروح الالحاد و الزندقة وفيه مغامر عديدة ضد الدين مبثوثة فيه ، لا يجوز بحال أن تلقى إلا تلاميذه ، لم يكن عندهم من المعلومات الدينية ما يتقون به هذا التضليل المفسد لعقائدهم و الموجب للخلاف و الشقاق في الأمة ولإثارة فتنة عنيفة دينية ضد دين الدولة ودين الأمة)[4].

فقد كان الرافعي يعتبر طه حسين أثناء تقديمه دروس في الشعر الجاهلي في بداياته الأولى بمثابة كفر بالله و سخرية بالناس ، فقد كذب الأديان ،وسفه التواريخ ، فهو يهدي في دروسه هذه اثبات الحقيقة الخيالية ويترك الحقيقة الثابتة ، ومن ثم فهو يقلد الهدامين من جبابرة العقول في أوروبا وهو منهم [5].

[1]-مصطفى صادق الرافعي :تحت راية القرآن ، المعرفة بين القديم و الجديد ،المكتبة المصرية ،صيدا بيرووت ،(د،ط) ،سنة 2002،ص83.

[2]-مصطفى صادق الرافعي :المرجع السابق ص 129.

[3]-المصدر نفسه ص 230.

[4]-نفسه ،ص 129.

[5]-سامح كريم :تقديم دراسة وتحليل للكتاب في الشعر الجاهلي لطه حسين ، دار المصرية اللبنانية ،القاهرة ،(د.ط) ،سنة 2012،ص 64.

أحدثت مقالات الرافعي اهتماما كبيرا بهذه القضية وشغلت بال العديد من الناس ،وظلوا يتابعونها حتى توفي الرافعي الذي كان إذا قرأ مقالا لطه حسين فتشه ورد عليه بما يليق.

ولقد كانت هذه المعركة بين طه حسين ومعاصريه واحدة من أحصب المعارك الأدبية في تاريخ الثقافة العربية ، وربما في تاريخ العام كله ، إذ حملت أقطاب الفكر و اللغة و الأدب و التاريخ على إعادة النظر في كل ما لديهم من مسلمات وحقائق و قواعد في درس هذه الشؤون وتدريسها.

2- معركة الرافعي مع عباس محمود العقاد :

من أشهر المعارك التي عرفها الرافعي ما دار بينه وبين الأديب عباس محمود العقاد نشأت هذه الخصومة حين أصدر الرافعي كتابه " تاريخ آداب العرب " عام 1911م و أبدى العقاد رأيه في ذلك بقوله : (منشئ مكين....ولكنه مضطرب القياس ،يعمل القلم ،ولا يعمل الرأي ، وأنه يجد بالتالي هذا التاريخ ،كتاب أدب لا تاريخ).[1]

واصل الرافعي عمله في التأليف ولم يعطي إهتمامه لما قاله العقاد وأنشأ كتاب آخر بعنوان "إعجاز القرآن " هذا الأخير لم يسلم من رأي العقاد أيضا وقال عنه ..ضعف المنطق وفساد القياس)[2].

لم يبق عندها هذا الحد فقط بل اتهمه بأنه واضع رسالة الزعيم سعد زغلول في تفريط كتابه التي تقول: (كأنه تنزيل من التنزيل أو قيس من نور الذكر الحكيم)[3].

واعتبر أن الرافعي وضعها في طيات كتابه لترويجه وذيوعه بين الناس.

لم يصمت الرافعي كعادته ودافع عن نفسه إزاء ما قيل عنه فيقول :(أنت تجحد فضل كتابي فهل تراك أحسن من رأي سعد)، وأرجع الرافعي أن سبب هذا الاتهام هو أن العقاد كان كاتب الوفد الأول وكان يلقبه سعد ب "جبار القلم " لذا شن هجومه عليه لأنه لا يرضى أن ينازعه أحد في حب سعد وفي إيثاره [4].

أخذت المعركة طابعها العنيف حين شن العقاد ثورته في كتابه " الديوان في الأدب و النقد " سنة 1921م بمقالة كتبها في حق الرافعي بعنوان : ما هذا يا أبي عمرو ؟ ،هذه الأخيرة تناول فيها

---

[1]-عبد اللطيف شرارة ص 287.

[2]-نفسه ص 287.

[3]-لعريان :ص 186.

[4]-نفسه ،ص 186.

الأدب الرافعي وجرده من كل ميزة فيه وهذا شيء من تلك المقالة : (الرافعي رجل ضيق الفكر ، مدرع الوجه ، يركب رأسه يتريث دونها العصفاء أحيانا وكثيرا ما يخطئون)[1].

هذه الأخيرة أشعلت نار الحرب لدى الرافعي ولم يكن ناسيا نقده السياق وما إن صنحت له الفرصة حتى أخرج ما كان بداخله وكتب سبع مقالات متتالية ينقد بها العقاد وبشتى أساليب الشتم و القدح أسماها بعنوان " على السفود " ، ويتضح من وراء هذا العنوان مدى قسوته في نقده ، ذلك أن هذا المصطلح يقصد به في المعجم اللغوي (السفود هو الحديد الذي يشوي عليها اللحم)[2].

نشرت تلك المقالات في مجلة العصور ، ثم جمعت في كتاب من طرف اسماعيل مظهر وطبعها بعنوانها الأول (على السفود) ،وكتب مقدمة لها ولم يذكر فيها اسمه فكان كل ذكره في المقدمة أنها بقلم (إمام من أئمة الأدب العربي).

وظلت شخصية الرافعي مجهولة في هذه المقالات لدى القراء فترة من الزمن ، حتى كشف أمره أخيرا من خلال تحدثه وسط الأدباء على أنه صاحب تلك المقالات [3].

احتدمت المعركة بين الرجلين حينما توفي أحمد شوقي ،وطلب محرر مجلة المقتطف أن يكتب مقال عن المرحوم ، فتلقى الرافعي ذلك بصدر رحب و أخذ يشيد بعبقريته قائلا :(فاتصف شوقي وجلى عبقريته وكشف عن أدبه وفنه ومذهبه دع عنك بعض هفوات قليلة لا تفض من قيمة هذا البحث الفريد)[4].

وكان مما أخذ عليه الرافعي عن شوقي أنه رفع جواب الشرط في قوله :

وإن رأيتني تميل عني كأن لم بك بيني وبينهما أشياء

[1]-العقاد و المازوني ، ص 170.
[2]-محمد سعيد العريان :ص 148.
[3]-نفسه ،ص 194.
[4]-نفسه ،ص 195.

3- معركة الرافعي مع زكي مبارك :

الملاكمة الأدبية التي شاعت في تلك الأيام أنست المعاني و الأهداف التي يسعى أو ينبغي أن يسعى إليها الأدباء ،وقد نشأت من المسلك الشخصي الذي سلكه بعض الأفراد البارزين من حملة الأقلام وفي مقدمتهم مصطفى صادق الرافعي وزكي مبارك في فهم النقد و التعامل مع النقاد بوجه عام .[1]

كان الخلاف بين هذين الناقدين يدور حول كتاب مصطفى صادق الرافعي "أوراق الورد" (هذا الديوان من الرسائل تكملة على كتابين خرجا من قبل وهما "رسائل الأحزان " و " السحاب الأحمر " فجملة أرائنا في فلسفة الجمال و الحب و أوصافها هي في هذه الكتب الثلاث)[2].

وضع الرافعي هذا الكتاب (ليصف حالة من حالاته ، ويثبت تاريخا من تاريخه في فترة من العمر لم يكن يرى لنفسه من قبلها تاريخا ولا من بعد)[3].

استخدم فيه أسلوبا خاصا (تدور به المعاني الحية في ألفاظها بألين حس و ألطفه على وضع مستحكم كما يمس الدم الحي عروقه التي يدور فيها)[4].

لم يشأ الرافعي أن ينازعه أحد في كتابه هذا لذا شن هجومه على زكي مبارك الذي أنشأ بضع رسائل رأي فيها : (أنه وقف على رسائل غرامية في الأدب العربي و أورد بعضها وهي رسائل كتبت في العراق ولا تعد من الرسائل الغرامية ، بل هي من الاخوانيات[5]).

---

[1]-د اللطيف شرارة ،ص 50-51.

[2]-مصطفى صادق الرافعي ،أوراق الورد ،مؤسسة هداوي للتعليم و الثقافة ،القاهرة ، مصر ،(د.ط)

[3]-2012م،ص141.

[4]-محمد سعيد العريان :ص 141.

[5]-أنور الجندي ص 440.

وقد ذكر في مقدمة كتابه " أوراق الورد" ما قام به منافسيه إذ يقول عنه : (على أن بلغاء الكتاب في كل عصر تناولوا إلى ترسلهم فن " الإخوانيات " و أجروا فيه رسائل المودة و الشوق و الصداقة و الاستعطاف و العتاب و الاعتذار و الاستزارة لمجالس اللذات و الأنس ، وهذه كلها من أمس المعاني بالحب و أقر بها شبها به...[1].

فهو يعتبر أن رسائل زكي مبارك تعد من الاخوانيات ولا ترقى أن تصل إلى مكانة رسائله لأنه يعتبر كتابه بمثابة (سد المكان الخالي في الأدب العربي من أول تاريخه إلى اليوم ، وإعطاء العربية كتابا في رسائل الحب وفلسفته و أوصافه) ، فأعلن الرافعي حربه على منافسه وبدأ يفتش أعماله ومقالاته ورأى أنه (غلط في مقالة غلطة هائلة فلما رددت عليه امتنع البلاغ عن نشر الرد كما فعل مع العقاد، وبقيت غلطات زكي مبارك لم تكشف لأنه يكتب للبلاغ بأجر رخيص جدا وهذا هو الذي يهم البلاغ فلا يريد اسقاطه).

ومن جراء ذلك رأى الرافعي (أن زكي مبارك قد بالغ في التحريف ولابد من ضربه ضربة قوية في السفود حتى زال هذا المرض ، وقد كتب بعدها الرافعي مقالة عن زكي مبارك بعنوان " أبو حنيفة ولكن من غير فقه " يقول فيها : (هل يبدأ الأدب العربي في مصرنا أم ينتهي ، وهل تراه يعلو أو ينزل ، وهذه المعاني لو ذهبت أفضلها لاقتحمت تاريخا طويلا أمر فيه بعظام مبعثرة في ثيابها لافي قبورها حتى أصبح أمر الأدب على أقبحه وهم يرونه أحسنه حتى قيل في الأسلوب ، أسلوب تلغرافي، وفي الفصاحة فصاحة عامية ،وفي اللغة لغة الجرائد.

وخلاصة ما ينتهي إليه القارئ من ملاكمات زكي مبارك و أمثاله على صعيد النقد و الأدب أن بعض الأدباء شغلوا بأنفسهم عن الأدب ،حين توفرت لهم الشهرة وانحصر همهم أو كاد في

[1]-مصطفى صادق الرافعي :المرجع السابق ص 16.

الاحتياط لسمعتهم ومقامهم في المجتمع ، كما شغل بعضهم بالسياسة المحلية أو الحزبية الضيقة فاختلطت الأمور وغيبت الأهداف العليا .[1]

معركة الرافعي مع سلامة موسى :

دارت معالم هذه الخصومة في أولها حول مذهبين مختلفين فمصطفى صادق الرافعي يدعم الأدب القديم في حين جاء سلامة موسى بالمنادات على المذهب الجديد فالرافعي يدافع عن المذهب القديم ويقول بأفضلية الأساليب العربية القديمة على أساليبنا الراقية وهو يجيد الصنعة أيما إجادة ولكنه لا يعني بالفن فإذا كتب اتسعت عباراته وانتظمت ألفاظه فأتى بالعجب ولكن الحقيقة (أي الجمال) لا تشغله في نظمه نثره ، ثم هو لا يكاد يؤمن بالعلم بل لا تجد له أثرا في جميع كتاباته و القطعة التي انتخبناها منه تشهد بذلك ويمتاز شعر الرافعي بقوة الطبيعة وحسن النظم ولكن خياله مع ذلك عربي تقليدي تعرف ذلك من تشويهه صفحة البدر بصفحة الأمر وضوء الفجر برونق صارم ، هذا إلى خلوة من خلو أعلى يتوخاه [2].

فسلامة موسى يرى بأن المذهب القديم لا يهمنا فيقول : (أسوأ ما أعاني ليس الباب أو الخبث ، وإنما هو الجهل ، أعني الجهل بقيمة الثقافة العصرية و العلم ،والحضارة الأوروبية وهذا الجهل يصدمني أحيانا كما لو كان حجرا يشق رأسي ، فأحسن دور لا أعرف معه أنطق أو أكتب[3] .

وموقفه إزاء الرافعي (لو أن الرافعي كان قد درس الآداب الأوروبية فضلا عن الآداب العالمية ، لعرف شيئا آخر ، فيه من السمو و شرف الغاية وصلاح العيش وحب الحياة ، غير ما عرف من الأدب

[1]-أنور الجندي :المرجع السابق ص 339-440.

[2]-عبدد اللطيف شرارة ،ص 292.

[3]-أنور الجندي :المرجع السابق ص 651.

العربي ،ولكن جهله حمله على القناعة بأدب العرب ، ثم حمله على العتب وسب جميع اللذين يعرفون غير هذا الأدب[1].

فكان رد الرافعي إزاء ما قيل (أرادوا بالمذاهب الجديد أن يكتب الكاتب في العربية ينصرف إلى المعنى و العرض تاركا اللغة وشأنها ، متصفا فيها آخذا ما يتفق كما يلحق ما يجري على قلمه كما يجري تعبيرا ذلك مميزا من يرى أن غلاف من عظام رأسه و أن عظام رأسه كعظام رجله[2].

وتزداد حدة تلك المناوشة حول كتاب مصطفى صادق الرافعي " السحاب الأحمر " الذي علق عنه في مقدمته بقوله : " قد إستوحيته من أرواح فيها الحبيب و البغيض و الصديق و المظلوم و الظالم لنفسه ، ومن عقله قلبه ، ومن حبة منفعته ، وفيها أضعف ما عرفت من العقول و أقواها ، فمن هذه السماء توكفت هذه السحاب ، وإني لأشهد أني في بعض فصوله كنت أحامي عن الحب أن ينتفض فأدير الكلام على ذلك فيلتوي ، ثم أراه لا ينقاد، ولا يتابع إلا على خلاف ما أريد ، فإذا أخذت في المذهب الذي يعن إلى اتفاق و عرضا...)[3].وهكذا كانت معركة الرافعي مع سلامة موسى كل لديه رأيه الخاص ، متمسكا به إلى أبعد الحدود.

[1]–سلامة موسى :الأدب للشعب ،مؤسسة هذاوي للتعليم و الثقافة ،القاهرة ،مصر ، (د.ط)،2012م ،ص 41.

[2]–أنور الجندي :المرجع السابق ،ص 651.

[3]–مصطفى صادق الرافعي ، السحاب الأحمر ،مؤسسة الهنداوي للتعليم و الثقافة ،القاهرة ،مصر ، (د.ط).

نماذج من مواقف الرافعي تجاه قضايا التراث :

قضية الاعجاز في القرآن الكريم :

يعد الاديب العالم و الناقد المتذوق الرافعي واحدا من أفذاذ العلماء العرب و المسلمين في عصرنا الحديث ، اللذين أسهموا بقسط وافر من الدراسات الأدبية و النقدية التي قامت حول قضية الاعجاز في القرآن الكريم .

ولم يكن غريبا عن الرافعي أن يتصدى لهذا المجال العميق و الدقيق من مجالات الدراسات الأدبية و النقدية ، التي دارت حول البيان القرآني المعجز ، فهو الذي أمضى حياة حافلة في خدمة العربية و آدابها ، والكتاب المبين الذي أنزل بلسانها ،وهو الذي آل على نفسه أن يكون لهذا الدين وكتابه القويم حارسه وحاميه. الواضح أن كتاب الرافعي (إعجاز القرآن الكريم) لم يكن هو كل ما كتبه في مجال الدراسات الأدبية و النقدية التي قامت حول هذا الاعجاز ، فقد بذل جهدا ليس بالقليل لكتابة مؤلفه في (أسرار البلاغة) الذي أتم فصوله متحدثا فيه عن البلاغة العربية وعن بلاغة القرآن و أسرار إعجازه ، كما تناول في الفصل الأخير منه آيات من القرآن الكريم على أسلوب من التفسير ، يبين سر إعجازها في اللفظ و المعنى و الفكرة العامة ،وقد نشر منها بعض الآيات مفسرة في الرسالة وانتشر بعضها الآخر في تضاعيف كتابة (وحي القلم)، أما كتابه (أسرار الاعجاز) فلم يقدر له أن يطبع بعد أن عاجلت صاحبه يد المنون قبل أن يخرج الكتاب إلى الوجود.[1]

منهج الرافعي (إعجاز القرآن) لم يشأ الرافعي منذ أن بدأ كتابه (إعجاز القرآن) أن يطلق القول في هذا الإعجاز دون تحديد لمنهجه فيه، لذلك أشار في مقدمته إلى هذا المنهج الذي اتبعه، وكان مما قاله : " وبعد.....فإننا سنقول في القرآن الكريم ما يتعلق بلغته ويتصل ببلاغته ويكشف من

[1]-راجع :حياة الرافعي لمحمد سعيد العريان ،طبعة 3،ص 23-33 ، ومصطفى صادق الرافعي للدكتور كما نشأت ،ص7، تحت راية القرآن للرافعي ص 16-18 ،ورسائل الرافعي جمع وترتيب محمود أو رية ، النقد الأدبي دراسات نقدية و أدبية حول إعجاز القرآن لصلاح الدين محمو عبد التواب ،ج2،ص 33-66.

أوجه الإعجاز في ذلك ، فإن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، وإن القول فيه ما برح كثير المذاهب متعدد الجهات متصل الحدود ، يفضي بعضها إلى بعض ، إذ هو كتاب السماء إلى الأرض مستقرا و مستودعا ،وقد جاء بالإعجاز الأبدي الذي يشهد على الدهر ويشد عليه...بيد أنه لابد لنا من صدر نبتدئ به القول في تاريخه وجمعه وتدوينه و قراءاته ، حتى تكون هذه سببا إلى الكلام في لغته وبلاغته ثم إعجازه في اللغة و البلاغة ، لأن بعض ذلك يريد بعضه ، ونحن نستعين الله ونستمده ونستكفيه"[1].

ومن ثمة خرج كتاب (إعجاز القرآن الكريم) للرافعي في ترتيب منظم ، وتبويب منطقي ، التزم به منذ المقدمة حتى نهاية الحديث عن الإعجاز ، وما دخل بابا وانتهى منه إلا ليسلمه للذي يليه، حتى وصل إلى فكرته الأساسية في الإعجاز ،وهي متمثلة في نظم القرآن، وإعجاز تأليفه، ثم أخذ يتدرج مع فكرة النظم هذه متتبعا الحروف و أصواتها إلى كلمات وحروفها، إلى جمل وكلماتها، حتى تأكد له بعد هذه الدراسات المتصلة غرابة الأوضاع التركيبية في القرآن الكريم بعد أن تجلت فيه تلك الروح التي أودعها الله آياته المحكمات، والتي لا يمكن أن يدرك كنهها أحد إلا الله وحده منزل القرآن...

معنى الإعجاز في نظر الرافعي كان على الرافعي بعد أن استعرض ما قيل في وجود الاعجاز من المتكلمين وغيرهم من العلماء أن يحدد حقيقة الاعجاز التي ارتضاها و اطمأن إليها فقال :" أما الذي عندنا في وجه إعجاز القرآن وما حققناه بعد البحث ...أن القرآن معجزة بالمعنى الذي يفهم ومن لفظ الاعجاز على إطلاقه...فالقرآن الكريم معجز في تاريخه دون سائر الكتب ، ومعجز في أثره الانساني ،ومعجز كذلك في حقائقه، وهذه وجوه عامة لا تخالف الفطرة الانسانية في شيء ، فهي

[1]-إعجاز القرآن الكريم ص 12.

باقية ما بقيت ...وإنما مذهبنا بيان إعجازه في نفسه ، من حيث هو كلام عربي ، لأننا إنما نكتب في هذه الجهة من تاريخ الأدب دون جهة التأويل و التفسير "[1].

من هنا يبدو واضحا تعريف الرافعي لوجهته في محاولة للوقوف على حقيقة الإعجاز بما يتلاءم مع اتجاهه الأدبي ، ولذا كانت مقدماته من قبل تمهيدا للحديث عن الأسلوب القرآني ، وأن هذا الأسلوب هو مادة الإعجاز العربي في كلام العرب كله ، و أن العرب لما ورد عليهم أسلوب القرآني ، وأن هذا الأسلوب هو مادة الإعجاز العربي في كلام العرب كله ، و أن العرب لما ورد عليهم أسلوب القرآن رأوا ألفاظهم بعينها متسابقة فيما ألفوه من طرق الخطاب و ألوان المنطق، غير أنهم ورد عليهم من طرق نظمه ووجوه تركيب ونسق حروفه في كلماته ،وكلماته في جملها ، ونسق هذه الجمل في جملته ما أذهلهم عن أنفسهم من هيبة رائعة وروعة مخوفة وخوف تقشعر منه الجلود[2].

قضية البلاغة العربية :

لقد تناقلت المصنفات ،واعترفت الجماجم و المخيلات ، على أن محمد بن عبد الله ، هو أفصح العرب لسانا، و أقواهم حجة وبيانا ،مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم عن نفسه : " أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش ،ونشأت في بني سعد بن بكر"[3].

إن الحديث عن البلاغة العربية في علاقتها بالشريعة الاسلامية ،يثير العديد من الاشكالات ،ويضع الدارس أمام ترسانة من التساؤلات ، علما أن الشريعة بمتنيها قرآنا وسنة ، وحي من الله تعالى بدون منازع، فإذا كانت البلاغة العربية قد نشأت في أحضان العقيدة الاسلامية ، وبنيت حصنا من حصون النبوة المحمدية ، فما حظ الحديث النبوي في التأسيس لهذا العلم الشريف ؟ وهل إذا كان القرآن الكريم معجزا بنظمه وتأليفه ألا يعد كلام النبي معجزا كذلك ، وهو القائل —صلى الله عليه و

[1]-المصدر نفسه ،ص 158.

[2]-المصدر نفسه ،ص 149-190.

[3]-اعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ،بيروت ،دار الكتاب العربي ،طبعة 8،1425هـ ،2005م ،ص 196.

سلم عن نفسه فيما رواه البخاري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه: (بعثت بجوامع الكلم ، ونصرت بالرعب)[1].

أليست هذه البراعة في الجمع ،والإعجاز في الإيجاز ،وقلة اللفظ مع كثرة المعاني ،قمة ما تكون عليه بلاغة الكلام ؟ أليست العلاقة بين القرآن و الحديث الشريف علاقة تكامل وتلازم؟

وإذا ما أمعن الدارس النظر في تاريخ نشأة علم البلاغة بخاصة ، وجدها عالقة بالتنزيل الرباني فقد كان للقرآن الكريم الأثر البالغ في ترتيب وجوه الكلام ، واستجماع وجوه أساليب العرب في القول و البيان ، إذ بلسانهم نزل القرآن ، بل و أعجزهم عن الاتيان بمثله ، مع توفرهم على الدواعي.

لقد كانت للبلاغة العربية علاقة جوهرية بالعقيدة الاسلامية ، بل إنها قضية أسالت الكثير من مداد العلماء ، فلم يتركوا منفذا لمغرض ،ولا ملجأ لمشكك ، هذا بالإضافة إلى أنها قضية أدبية استأثرت باهتمام النقاد ، لما يجمعها من وشائج بالنقد الأدبي منذ نعومة أظافره علاوة على ذلك فالبلاغة ركن متجذر في الثقافة العربية الاسلامية منذ بزوغ فجر الاسلام إلى يوم الناس هذا.

الشيء الذي من شأنه أن يجعل العدو اللدود يطمع في مضاهاته، والطمع في الاتيان بمثله.

فإذا كان ذلك كذلك أمكن لنا أن نقول: " إن بلاغة النبي صلوات الله وسلامة عليه ، تقع على القنطرة الواصلة بين إعجاز القرآن و بلاغة البلغاء...وإن شئت قلت : بلاغة المرسلين [2]

إن نسق البلاغة النبوية يمتاز في جملته بأنه ليس ....تراه في الكلام النبوي ،وما من فصيح أو بليغ إلا وهو في.....والمعنوية .فذلك مما امتازت به البلاغة النبوية حتى كان الكلام لا يعدو....من العجب ،وإنما تتم في بلاغته صلى الله عليه وسلم ....البيانية إلا في القرآن الكريم و البلاغة النبوية ، وهذه كتب الأدب ودواوين الشعر ....الآدمي منهاج ، ولجملته طريق ،وحدود البلاغة التي تفصل

[1]-عبقرية محمد عباس محمود العقاد ، دار النهضة مصر للطباعة و النشر ، الفجالة ،القاهرة ص 78.

[2]-سمات البلاغة النبوية ، بنين الجاحظ و الرافعي و العقاد ،عدنان محمد زوزور ص 02.

بعضه عن بعض ....بين بعضها إلى بعض مهما بلغ من تفاوتها واختلافها في السبك....بها كلاما تعرف حدة في البلاغة ، إن لم يكن بالصنعة فالحس[1].

[1]-مصطفى صادق الرافعي ،إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية ،الجزء الأول ص 225- 229

الفصل الثالث

دراسة تطبيقية لموقف الرافعي في قضية الشعر الجاهلي

تمهيد :

أشار القدماء إلى قضية الانتحال مرارا وتكرارا ،وحاولوا جاهدين أن ينفوا عنه الزيف وما وضعه الوضاع متخذين إلى ذلك مقاييس كثيرة ،وبلغ من حرصهم في هذا الباب أن أهمل ثقاتهم كل ما روي عن المتهمين أمثال حماد و خلف وكان الأصمعي خاصة لهم بالمرصاد ، كما كان المفضل الضبي من قبله ، وتتابع الرواة الأثبات بعدهما يحققون ويمحصون في التراث ،ومن أهمهم في هذا الجانب ابن سلام : فقد دون في كتابه " طبقات فحول الشعراء "كثيرا من الملاحظات أهل العلم و الدراية في رواية الشعر القديم من أساتذة المدرسة البصرية التي ينتسب إليها ،وهذا الكتاب في الحقيقة هو أول كتاب أثار في اسهاب مشكلة الانتحال في الشعر الجاهلي ، وقد ردها إلى عاملين : عامل القبائل التي كانت تتزيد في شعرها لتتزيد في مناقبها ، وعامل الرواة الوضاعين.[1]

يقدم لنا ابن سلام طائفتين من الرواة كانتا ترويان منتحلا كثيرا وتنسبانه إلى الجاهليين ،طائفة كانت تحسن نظم الشعر وصوغه وتصنيف ما تنظمه وتصوغه إلى الجاهلين ،ومثل لها بحماد ، ورأينا فيها مر بنا أشباها له في حباذ وخلف الأحمر ، وطائفة لم تكن تحسن النظم و لا الإحتذاء على أمثلة الشعر الجاهلي : ولكنها كانت تحمل كل غثاء منه وكل زيف ، وهم روات الأخبار و السير و القصص ، من مثل ابن إسحاق راوي السيرة النبوية ، إذ كانت تصنع له الأشعار ويدخلها في سيرته دون تحرز أو تحفظ ، منطقا بالشعر العربي من لم ينطقوه من قوم عاد وثمود والعماليق وطسم وجديس، يقول ابن سلام :وقد ذكر أبا سفيان بن الحارث أحد شعراء قريش اللذين كانوا يناقضون حسان بن ثابت و شعراء المدينة : إن شعره في الجاهلية " سقط ولم يصل إلينا منه إلا القليل " ثم علق على ذلك بقوله :" ولسنا نعد ما يروى ابن اسحاق له و لا لغيره شعرا ،ولأن لا يكون لهم شعر أحسن من أن يكون ذاك لهم [2].

[1]-ابن سلام :ص 39 وما بعدها.

[2]-نفس المصدر ص 206.

ففي الشعر الجاهلي منتحل لا سبيل إلى قبوله ، وفيه موثوق به ،وهو على درجات منه ما أجمع عليه الرواة[1].

وقد لفتت هذه القضية –قضية انتحال الشعر الجاهلي –أنظار الباحثين المحدثين من المستشرقين والعرب ، وبدأ النظر فيها نولدكه سنة 1864 وتلاه الورد حيث نشر دواوين الشعر الستة الجاهليين: امرئ القيس و النابغة وزهير وطرفة وعلقمة وعنترة فتشكك في صحة الشعر الجاهلي عامة منتهيا إلى أن عددا قليلا من قصائد هؤلاء الشعراء يمكن التسليم بصحته[2].

ولا يزال المستشرقين إلى اليوم يختلفون في قبول هذا الشعر بحذر و الشك فيه شكا معتدلا أو متطرفا، وممن أدلى بدلوه منهم في هذا الموضوع بلاشير في الجزء الأول من كتابه :" تاريخ الأدب العربي " إذ تحدث طويلا مبينا مجسما الشبهات، و بينما يحاول الاعتدال أحيانا إذا به يهج هجوما عنيفا [3] وإذا تركنا المستشرقين إلى العرب المحدثين و المعاصرين وجدنا مصطفى صادق الرافعي يعرض هذه القضية –قضية الانتحال في الشعر الجاهلي –عرضا مفصلا في كتابه " تاريخ أداب العرب " الذي نشره في سنة 1911م ، ولكنه لا يتجاوز في عرضه –غالبا–سرد ما لاحظه القدماء[4].

وخلف مصطفى صادق الرافعي طه حسين فدرس القضية دراسة مستفيضة في كتابه " الشعر الجاهلي " الذي أحدث به رجة عنيفة أثارت كثيرين من المحافظين و الباحثين فتصدوا للرد عليه ، ولم يلبث أن ألف مصنفه " في الأدب الجاهلي " الذي نشره في سنة 1927م وفيه بسط القول في القضية بسطا أكثر سعة وتفصيلا ، إذ زودها ببراهين جديدة ،وقد خصص لها في مصنفه أربعة كتب هي الكتاب الثاني و الثالث و الرابع و الخامس ، ونراه يعني في الكتاب الثاني ببيان الأسباب التي

[1]–ابن سلام ص 06.

[2]–لخص ناصر الدين الأسد :هذه المقالة في كتابه " مصادر الشعر الجاهلي " تلخيصا دقيقا ص 353.

[3]– بلاشير، ص 183 و ما بعدها.

[4]–في الأدب الجاهلي "الطبعة الثانية ص 277.

تحمل على الشك في الشعر الجاهلي أو يقدم بين يديها نتيجة : "إن الكثرة المطلقة مما نسميه أدبا جاهليا ليست من الجاهلية في شيء و إنما هي منتحلة بعد ظهور الاسلام[1].

ووقف طه حسين طويلا إزاء لغة الشعر الجاهلي ولاحظ أنه لا يصور اللغتين الشائعتين في الجزيرة : لغة الحمير بين الجنوبية ولغة العدنانين الشمالية ويخرج طه حسين في مصنفه من هذا الكتاب الثاني إلى كتاب الثالث ، فيتحدث عن أسباب نحل الشعر ويبسطها بسطا معتمدا على ملاحظات القدماء ،ونراه يردها إلى السياسة و الدين و القصص و الشعوبية و الرواة ، وينتقل إلى الدين فيبين دوره في هذا النحل متشككا في الأشعار التي يقال : إنها نظمت في الجاهلية ارهاصا ببعثه الرسول مما رواه ابن اسحاق واحتفظ به ابن هشام في سيرته[2].

وقد تشكك في هذا الشعر الكثير الذي يفضيه الجاحظ إلى الجاهلين في مصنفه الحيوان ، ليدل على اتساع معرفتهم في هذا العلم : علم الحيوان ، عصبية لهم ،والحق أن هذا لم يكن من أهداف الجاحظ فهو نفسه ينفي عنهم العلم الدقيق بالحيوان إذ يقول :أن معارفهم فيه معارف أولية و إنه إنما دار في اشعارهم لأنه كان مبثوثا تحت أعينهم و أبصارهم في ديارهم[3].

والحق أن الشعر الجاهلي فيه موضوع كثير غير أن ذلك لم يكن غائبا عن القدماء ، فقد عرضوه على نقد شديد ، تناولوا به رواته من جهة وصيغه و ألفاظه من جهة ثانية ، أو بعبارة أخرى عرضوه على نقد داخلي وخارجي.

[1]-نفس المصدر ص 64.

[2]-أنظر ابن سلام ص 117.

[3]-الحيوان :26/6 وما بعدها.

ومعنى ذلك أنهم أحاطوه بسياج محكم من التحري و التثبت ، فكان ينبغي أن لا يبالغ المحدثون من أمثال مرجليوث وطه حسين في الشك فيه مبالغة تنتهي إلى رفضه ، إنما نشك حقا فيما يشك فيه القدماء ونرفضه[1].

وكان الشعر الجاهلي معبرا عن حياة وثنية وعابثة في العديد من نصوصه ، فضلا عن تسرب الكثير من الأثار الأسطورية التي هي امتداد لتصورات موغلة في تاريخ الجزيرة العربية.

أما طه حسين فقد أثار ضجة كبيرة بعد صدور كتابه " في الشعر الجاهلي الذي ألب عليه العديد من الدارسين ،فضلا عن المحافظين ، لأنهم رأوا فيه طعنا في الدين و العقيدة ، وتتجلى بعض ملامح هذا الطعن في تعرضه لشخصيتي ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، وتأكيده أنهما لا يعدوان أن يكون مجرد شخصين أسطوريين ،على الرغم من أن القرآن الكريم قد أشار إليهما وتحدث عنهما يقول طه حسين " للتوراة أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل ،وللقرآن أن تحدثنا عنهما أيضا ، ولكن ورد هذين الاسمين في التوراة و القرآن ، لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي ، فضلا عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة اسماعيل بن ابراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها ، ونحن نرى في هذه القصة نوعا من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود و العرب من جهة ،وبين الاسلام و اليهودية و القرآن والتوراة من جهة أخرى"[2].

قضية الانتحال في الشعر العربي من أبرز القضايا التي طرحت في كتب الأدب العربي ، لاسيما فيما يتعلق بالشعر الجاهلي الذي دخله انتحال كثير ،وقد تتابع الرواة الثقات بتحقيق وتمحيص ما جاء من تراث في الشعر الجاهلي.

فالشعر الجاهلي يثير معظلة تتجلى واضحة في تفاوت أساليب المقطوعات الشعرية و القصائد الجاهلية وتظهر ايضا في ترتيب الأبيات الشعرية وإختلاف الروايات في مفرداتها وتراكيبها وصياغاتها

[1]-ابن سلام :ص 76-77.

[2]-طه حسين ،في الأدب الجاهلي ،مطبعة فاروق (محمد عيد الرحمان محمد) ،القاهرة ، 13/2-1933 ،ص 26.

وهذا من شأنه أن يثير الشك حول صحة الشعر من حيث نسبه إلى صاحبه أو إلى زمانه أو إلى مكانه ، ولقد شاع استخدام مصطلح النحل أو الانتحال ليدل على قضية الشك في الشعر الجاهلي ويؤثر بعضهم استخدام مصطلح النحل ويحدده بأنه " وضع قصيدة ما أو بيت من أبيات و إسناد ذلك لغير قائله " ويذهب آخر إلى أن المعنى انتحله وتنحله إدعاه لنفسه ولغيره....ويقال نحل الشاعر قصيدته إذا نسبت إليه وهي لغيره.[1]

وقد ميز باحث آخر بين ثلاث مصطلحات وهي :النحل الانتحال و الوضع فالوضع لديه " هو أن ينظم الرجل الشعر ثم ينسبه إلى غيره لأسباب ودواع و الانتحال هو إدعاء شعر الغير و النحل أن ينسب الرجل شعر شاعر إلى شاعر آخر ،ومن هنا يمكننا إيجاز الانتحال بأنه نسبة الشعر لغير قائله سواء كان ذلك بنسبة شعر رجل إلى آخر أم أن يدعي الرجل شعر غيره لنفسه أن ينظم شعرا وينسبه لشخص شاعر أو غير شاعر سواء كان له وجود تاريخي أم ليس له وجود تاريخي[2].

[1]-ناصر الدين الأسد ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ،دار المعارف ،مصر ،سنة 1982م ، ص 278-288.

[2]-كريم الوائلي ،شعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية ،دار العالمية ،ص 44.

الحدود المعرفية لرد الرافعي على أطروحة طه حسين :

فتح الرافعي على طه حسين وابلا من المقالات النقدية ، التي تهدف تصحيح ما يحاول طه تشويهه وغلطه ، فبدأه بالحجة و الدليل —سطرا- سطرا على كتابه منها يقول الأستاذ طه حسين [1]: ليس يعنيني أن يكون القرآن تأثر بشعر أمية —ابن أبي الصلت-أولا يكون".

فيرد الرافعي :" إن القرآن عند هذا الرجل كتاب أشبه بالكتب التي يضعها المؤلفون ،فتكون تمثيلا للعصر الذي وضعت فيه ، ومن ثم فلا معنى لما ورد في القرآن أنه (لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) فصلت 42.

وتكون هذه عقيدة الجامعة لطه وحده مادامت تدرس هذا ...هل يدري طه معنى قوله (من بين يديه) و (من خلفه) ؟ إن معناها يا أستاذ الجامعة أن القرآن لا يشخص عصرا و لا يمثله ،بل هو كتاب كل عصر ،وهو الثابت على كل بحث وكل علم وعلى مدى الأزمنة في أيها جاء ، وأيها ذهب مما يطويه الماضي[2].

الرافعي يلخص تقويمه لشخصية الدكتور طه حسين ...مع تنفيذ أرائه في أسلوب حاد ساخر ... يوجز الحقائق ، ويحمل التفاصيل ولكنه يتوسع فيها بعد ذلك عبر مباحث الكتاب مستعينا بشهادات المعاصرين من الباحثين و العلماء و النواب و رجال السياسة المنصفين.

فيقول معللا فساد أراء الدكتور طه حسين فيما يتعلق بقضايا التي أثارها في كتاب " الشعر الجاهلي " وهي كثيرة :"وصاحبنا يرجع في ذلك غلى طبع ضعيف لم تحكمه صناعة الشعر ولا راضته مذاهب الخيال ، ولا عهد له بأسرار الالهام التي صار بها الشاعر شاعرا ، ونبغ الكاتب كاتبا ، وما هو إلا ما ترى من خلط يسمى علما ، وجرأة تكون نقدا ، وتحامل يصبح رأيا ، " وتقليد للمستشرقين يسميه اجتهادا " ، وغفى من الأئمة يجعل به الرجل نفسه إماما ،وهدم أحمق يقول هو

[1]-كتاب :في الشعر الجاهلي ،ص 83.

[2]-كتاب : "تحت راية القرآن " ص 160-161.

البناء وهو التجديد ،وما كنا نعرف على التعيين ما الجديد أو التجديد ، ثم يحترس الرافعي ....ويزيل هذه المثالب التي شخص بها مسلك الدكتور طه حسين في منهجه و في شخصيته ...ببعض المعالم الايجابية التي يتسم بها ، وهذا يؤكد أن الرافعي في تقويمه له لم يكن متجنبا ، ولا مسفا مثلما كان في " السفود" وهو يهجم على العقاد بكل الوان السياب ، ويقول الرافعي لولا ضعف خيال الدكتور طه حسين وبعده من الصناعة الفنية في الأدب ،واستسلامه لتقليد الزنادقة ،وبعض المستشرقين الذين لا يوثق برأيهم ولا بفهمهم في الآداب العربية ، ثم لولا هذه العصبية الممقوتة التي نشأت فيه من هاتين الصفتين إلى صفات أخرى يعرفها من نفسه حق المعرفة لكان قريبا من الصحة فيما يرى ،وليتدبر الأمور بأسبابها القريبة منها واستعان عليها بما يصلحها ، ولتوقى بذلك جناية التهجم التي هي في أكثر أحوالها علم الجهلاء ، وقوة الضعف ، وكياسة الحمقى وعقل الممرونين ، ويمكن أن نتهم الرافعي بالمبالغة في اتهام الدكتور طه حسين و إلماق كل هذه المثالب به...ولكني أرى أنه أصاب كبد الحقيقة حتى وصف صاحب كتاب " في شعر الجاهلي " بأنه متسلم لتقليد الزنادقة ، وبعض المستشرقين الذين لا يوثق برأيهم و لا بفهمهم في الآداب العربية ، ولنتأمل دقة الرافعي في التفريق بين الزنادقة ....وبعض المستشرقين حيث لم ينكر الدور الايجابي الذي قام به المستشرقين في خدمة التراث العربي و الاسلامي تحقيقا....وتحميصا وطباعة وتدقيقا وفهرسة...وهي جهود بارزة لا تنكر.

يقول الرافعي : " إن طه حسين استسلم للزنادقة وبعض المستشرقين وهذا كلام صائب ودقيق لأنه حدد هذا " البعض" وهم الذين لا يوثق برأيهم ولا بفهمهم في الآداب العربية[1].

لقد انتهى الأمر إلى مصادرة كتاب و إحالة الدكتور طه حسين غلى النيابة ، وحققت معه وانتهت إلى أن هذا البحث ليس من عمل الدكتور بل سبقه به المستشرقين ومنهم "المرجليوف " المستشرق الانجليزي وانتهت هذه القضية بقضها و قضيضها سنة 1926م كما يقول الاستاذ

[1]-بين الرافعي وطه حسين :"تحت راية القرآن " من (1 إلى 2).

حسنين حسن معلوف ، وحفظت النيابة الأوراق لعدم كفاية الأدلة و الثبوت حسن النية فيما صدر من الدكتور طه حسين.

ثم تطورت الحال وبدأت المعركة تأن نحو الخارج أرا ، حينما استنتج طه حسين شنيعته ونشر كتابه " في الشعر الجاهلي " ذلك الكتاب الذي ملأ بالتعديات و المغايرات الدينية و التاريخية التي لا يسكت عنها ، ومنها قوله :" للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم و اسماعيل ،وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة و القرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي وغيرهما من المغلطات[1] .

[1]-كتاب : في الشعر الجاهلي ص 26-27.

نقض أطروحة طه حسين (الحجاج و أطره المعرفية):

دعا طه حسين إلى نهضة أدبية ، وعمل على الكتابة بأسلوب سهل واضح مع المحافظة على مفردات اللغة و قواعدها ، ولقد أثارت أرائه الكثرين كما وجهت له العديد من الاتهامات ، ولم يبالي طه بهذه الثورة ولا بهذه المعارضات القوية التي تعرض لها ولكن استمر في دعوته للتجديد و التحديث فقام بتقديم العديد من الآراء التي تميزت بالجرأة الشديدة و الصراحة فقد أخذ على المحيطين به ومن الاسلاف من المفكرين و الأدباء طرقهم التقليدية في تدريس الأدب العربي ، وضعف مستوى التدريس في المدارس الحكومية ،ومدرسة القضاء و غيرها ، كما دعا إلى أهمية توضيح النصوص العربية الأدبية للطلاب ، هذا بالإضافة لأهمية إعداد المعلمين الذين يقومون بتدريس اللغة العربية ، و الأدب ليكونوا على قدر كبير من التمكن و الثقافة بالإضافة لاتباع المنهج التجديدي ، وعدم التمسك بالشكل التقليدي في التدريس.

ومن المعارضات الهامة التي تعرض لها طه حسين و واجهها في حياته تلك التي كانت عندما قام بنشر كتابه " الشعر الجاهلي " فقد أثار هذا الكتاب ضجة كبيرة ، والكثير من الآراء المعارضة ،وهو الأمر الذي توقعه طه حسين ، وكان يعلم جيدا ما سوف يحدثه فما قاله في بداية كتابه: "هذا نحو من البحث عن تاريخ الشعر العربي الجديد لم يأنفه الناس عندنا من قبل ، و أكاد أثق بأن فريقا منهم سيلقونه ساخطين عليه ، وبأن فريقا آخر سيزودون عنه أزورارا ،ولكني على سخط أولئك وازورار هؤلاء أريد أن أضيع هذا البحث أو بعبارة أصح أريد أن أقيده أذعته قبل اليوم حين تحدثت به إلى طلابي في الجامعة.

وليس سرا ما تتحدث به إلى أكثر من مائتين ، ولقد اقتنعت بنتائج هذا البحث اقتناعا ما أعرف أني شعرت بمثله في تلك المواقف المختلفة التي وقفتها من تاريخ الأدب العربي ،وهذا الاقتناع القوي هو الذي يحملني على تقييد هذا البحث ونشره في هذه الفصول غير حافل بسخط الساخط ولا مكترث بازورار المزور.

وأنا مطمئن إلى أن هذا البحث وإن أسخط قوما وشق على آخر بين فسيرضى هذه الطائفة القليلة من المستنيرين الذين هم في حقيقة الأمر عدة المستقبل وقوام النهضة الحديثة ،وزخر الأدب الجديد.

نادى طه حسين باتباع طريقة العلم الحديث في الفكر و الحياة وتخليص الأدب من الأمور البديهية المقررة الخاطئة ، كما دعا إلى حرية الفكر ،واستخدام نوع جديد من النقد عرف باسم منهج الشك الديكارتي للتحليل و التفسير ،وهو منهج قائم على الشك ، فيرفض كل المسلمات المسبقة ، ويدعو غلى البحث في الأصول وتبني رأي جديد قائم على المنطق[1].

الحجاج هو العملية التي من خلالها يسعى المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات و التصورات لدى مخاطبة بواسطة الوسائل اللغوية، أو هو حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه ، أو الزيادة في حج هذا الاقتناع.

كما يرد الحجاج بمعنى الاستدلال ،البرهان ، الاقتناع ،الجدل ، فالحجاج الذي يأتي بمعنى الاستدلال هو (الاستدلال الحجاجي) و الحجاج يتسم بالدقة و الثبوت و القطيعة ، والحجاج لا يعني البرهنة على صدق اثبات قضية ما أو اظهار الطابع الصحيح للاستدلال.

وهو عبارة عن علاقة تخاطبية قائمة بين المتكلم و السامع حول فكرة أو قضية ما ، بحيث أن المتكلم يدعم فكرته بالأدلة و الحجج و البراهين ، لغاية اقناع السامع أو المتلقي أو مجموعة من المتلقين بهدف التأثير فيهم ، فيكون بذلك الخطاب ناجحا فعالا ، كونه ممارسة تواصلية تداولية تقتضي تبادل أطراف متفاعلة للرسائل اللغويين و غير اللغوية ،موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات ،أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم ،وغاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرحه عليها من أراء ، أو أن تزيد في درجة ذلك الاذعان ، فأنجح الحجاج ما وفق في جعل حدة الاذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب .

[1]-أسلوبه طه حسين ،القاهرة ،دار المعارف ،ص 21-28.

تخليص الحجاج من رقبة المنطق ومن أسر الأبنية الاستدلالية المجردة وتقريب من مجالات استخدام اللغة مثل : مجال العلوم الانسانية و الفلسفة و القانون ، ولإضفاء بعد عقلي للخطابة يحفظها من أن تلتبس بالسفسطية و المغالطة و المناورة ، اعتبار الحجاج "حوارا" وفضاء اتفاق بين الخطيب وجمهوره ، وليس هو استدلال شكليا ولا مغالطة أو مناورة وتلاعب بالمشاعر و العقول ، وغايته تحقيق الاقتناع الذي يقع في منطقة وسطى بين الاستدلال و الاقناع[1].

[1]-مصطفى صادق الرافعي ، وحي القلم ، ص 106.

التقييم النقدي لحجج الرافعي :

من الملاحظ أن مصطفى صادق الرافعي (1880-1937) يعد أحد النقاد البارزين الذين اهتموا بإحياء التراث العربي القديم ، والمتتبع لنشاطه الفكري يدرك أن أهم كتاب له هو كتاب " تاريخ أداب العرب " ، الذي ظهر الجزء الأول منه في عام 1911م ، فنجده يرصد في هذا الكتاب تطور تاريخ الأدب العربي حسب فنون هذا الأدب ، لأحسب العصور ،وهي الطريقة التي كان زيدان قد نبذها من قبل وهو يتناول تاريخ آداب اللغة العربية مفضلا عليها المنهج المدرسي ، أي دراسة الأدب حسب تطور العصور السياسية[1].

كتب مصطفى صادق الرافعي في النقد ، وإن كان أغلب ما كتبه في هذا الباب مسجلات في باب المعارك القلمية منها في باب النقد بمعناه العلمي ومنهج الرافعي وهو منهج فني في البيان فهو منهج أدبي جامع متميز قال عنه شكيب ارسلان بأنه " إمام الأدب وحجة العرب"[2].

كانت بدايات النقد عند الرافعي بعض المقالات التي كان ينشرها في المجالات و الجرائد التي كانت تنشر في عصره ، ومن أشهرها : مقال نشره في الجريدة ، يحمل فيه على الجامعة و أساتذتها ومنهج الأدب فيها.

من أبرز نقده (تحت راية القرآن) و(على السفود) وقد انتقد " طه حسين " ومنهجه كتاب (الشعر الجاهلي) في كتابه الأول ، بينما انتقد العقاد في كتابه الثاني.

كان الرافعي ينتقد المعاني و الألفاظ من ناحية مستوى تأليفها و الابتكار فيها ، وينتقد التكرار القبيح في الألفاظ و المعاني ، كماكان ينقد اضطراب القوافي وثقل الألفاظ.

[1] -الرافعي الكاتب : منهج الرافعي النقدي بين القديم و الجديد.

[2] -عشقي أنور ماجد ، مصطفى صادق الرافعي :أديب كتب " تحت راية القرآن"مجلة الفيصل ، 1911م،ص 45.

كان "الرافعي" عنيفا على "طه حسين" كما كان –عنيفا على "العقاد" وأخذ عليه بعض العبارات القاسية التي كتبها للعقاد في كتابه 'على السفود' ، التي كان من الأولى أن يسمو قلم الرافعي عنها وعن الخوض فيها ، ولنقترب أكثر من منهجه في النقد نقول " كانت للرافعي غيرة واعتداد بالنفس عرفت من خلال نقده اللاذع و وكان فيه حرص على اللغة من جهة الحرص على الدين ،وكان يؤمن بذلك ، فكان بذلك ناقدا أحاد اللسان يغار على أدبه منها كما يغار على عرضه ، فكان يضرب كل من تطاول عليه ولا يخشى في الله لومة لائم).

فهو يقول في مقدمة كتابه (تحت راية القرآن) مبينا منهجه :" إننا في هذا الكتاب نعمل على إسقاط فكرة خطرة ، وإذ هي قامت اليوم بفلان الذين نعرفه ، فقد " تكون غدا فيمن لا نعرفه ونحن نرد على هذا.

الرافعي بهذه الكلمات الموجزة قد حدد منهجه في " النقد ببساطة ووضوح ، فهل هناك منهج نقدي أرقى من هذا المنهج ؟

نخلص إلى أن النقد "عند الرافعي " افترض أصالة الفكرة و اللغة عن المبدع و السير حسب الاصول النقدية الصحيحة التي تزرع القارئ عند النقد...والرافعي في كل هذا إنما ينقد من خلال السمة الاسلامية التي تسيطر عليه.

ومن هنا كانت المعارك التي خاطها " الرافعي " مع طه حسين " و "العقاد" أشهر هذه المعارك غلا أن معظمها كانت من منطلق إيمانه بمنهجه وطريقته في الابداع و النقد ، والاحتماء بالتراث العربي الأصيل ...كما أسس الرافعي بتلك المعارك منهجه النقدي من خلال أبرز كتبه ،وهي (تحت راية القرآن) و (على السفود).

ما انفرد به الرافعي في رده على طه حسين :

لم يتميز الرافعي في الأدب و فقط ، ولكن الرافعي انفرد أيضا في الشعر و البلاغة حتى لأنه كتبه في البلاغة و الشعر قل أن تجد لها نظير.

بدأت هذه المعركة الأدبية الشرسة بعد اصدار طه حسين " كتاب في الشعر الجاهلي " و الذي أبدى فيه طه حسين أن الشعر الجاهلي منحول وليس بصحيح .

وقد لاحظ الرافعي خطورة هذه المقولة فقام بمجابهته ،وحرض عليه الحكومة و الشعب و المجالس الأدبية كلها لرده وضع هذا الكتاب الضال من الانتشار.

وقد تطورت المعركة بينهم حتى كتب الرافعي كتاب تحت راية القرآن ليرد فيه على طه حسين ويجابه حجته بحجة أقوى منها ، حتى وقف طه حسين معقود اللسان أمام قوة حجة الرافعي وبراعة قلمه ،حيث قال : " اليوم الذي يكون فيه كل الناس عقلاء في الرأي يكون كل الناس مجانين في الحقيقة"[1].

وأسلوب مصطفى صادق الرافعي يتميز بالفرادة وكتاب تحت راية القرآن معركة بين القديم و الجديد كتبه الأديب مصطفى صادق الرافعي ردا على ما كتبه طه حسين في كتابه عن الشعر الجاهلي و الذي حصد الكثير من الانتقادات و الملاحظات حتى وصل بالبعض أن يتهمه بالكفر و الزندقة.

واعتمد الرافعي في هذا الكتاب مجابهة الحجة بالحجة ، فأخذ يهدم في كلام طه حسين وراية بالحجة القاطعة التي ليس عليها غبار[2].

ورد الرافعي على طه حسين حين وصف أسلوبه "رسائل الأحزان " بقوله : " إن كل جملة من جمل هذا الكتاب تبعث في نفس شعورا قويا مؤلما بأن الكاتب يلدها ولادة ، وهو قياسي في هذه

[1] –الرافعي :"تحت راية القرآن" ،مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة.

[2] –الرافعي :كتاب السفود ،دار عصر لكتب.

الولادة ما تقاسيه الأم من آلام الوضع"[1].فقد أتى رد الرافعي مخرسا و مصميا على النحو التالي :" لقد كتبت 'رسائل الأحزان' في ستة وعشرين يوما ،فاكتب أنت مثلها في ستة وعشرين شهرا ،وأنت فارغ لذلك العمل وأنا مشغول بأعمال كبيرة لا تدع لي من النشاط و لا من الوقت إلا قليلا ، ها أنا ذا أتحداك أن تأتي بمثلها أو بفعل من مثلها.

وإن لم يكن الأمر عندك في هذا الأسلوب الشاق عليك إلا ولادة وآلاما من آلام الوضع كما تقول : فعلى نفقات القابلة والطبيبة متى ولدت بسلامة الله ".

وكان الرافعي أشدهم ارتباطا بالتراث العربي ، وأكثرهم دراية وإقناعا به ، وهو ينفرد بملكة إبداعية ابتكارية في صياغة الأساليب ، مع ارتباط شعوري صادق بكل مقومات التاريخ الاسلامي ، وبالمصدرين الرئيسين للدين الإسلامي وهما " القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف" وكتاب " إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"

إن الرافعي يرى أن طه حسين أداة أوروبية استعمارية غرضها توهين غزي الاسلام ، ويأخذ عليه أنه لم يصل على النبي مرة واحدة في كتابه ولو بحرف، و اتهام مصطفى صادق الرافعي لطه حسين بالكفر قائم على أساس أن هذا الأخير يرى أن القرآن تأليف لا وحي ، وأن النبي عليه الصلاة و السلام رجل سياسة لا رسول، وأنه يهاجم الصحابة وأنه يرفض الحديث الصحيح و في رأي الرافعي أن طه حسين يهاجم الأدب العربي لأنه أساس في حضارة القرآن ، ولأن القرآن أساس في الدين ولأن الدين ينافي منهجهم في الحضارة الغربية التي يعملون لها جهد طاقتهم ،والرافعي رحمه الله ، لا يلقي اتهامه بغير دليل ، بل يسوق ما قاله طه حسين من أننا : " يجب حين نستقبل البحث عن الأدب العربي وتاريخه أن ننسى قوميتنا وكل مشخصاته و أن ننسى ديننا وكل ما يتصل به.[2]

[1]-حديث الأربعاء ،ط10،دار المعارف ،3،ص 122.

[2]-مصطفى صادق الرافعي ،تحت راية القرآن ،طبعة 3، مطبعة الاستقامة ،القاهرة ،سنة 1935م،ص 186.

وحين أصدر الرافعي كتابه "رسائل الأحزان" وانتقده أيضا الدكتور طه حسين بشدة قائلا : " إن كل جملة من جمل هذا الكتاب تبعث في نفسي شعورا قويا مؤلما بأن الكاتب يلدها ولادة وهو يقاس من هذه الولادة ما تقاسي الأم من آلام الوضع"

فرد عليه الرافعي يتحداه بأن يكتب مثل هذه الرسائل خلال ستة وعشرين شهرا وقد حمى وطيس المعركة عندما أصدر الدكتور طه حسين " كتابة في الشعر الجاهلي "وهنا برز الرافعي لطه حسين مفندا حججه وشكوكه في مقالات بلغت العشرين، وكان من نتائج تلك المعركة أن أخرج طه حسين روائع كتبه الاسلامية مثل :على هامش السيرة ، الواعد الحق ،الشيخان " وغيرها[1].

[1]-نفس المصدر ،ص 195-196.

خاتمة

خاتمة

خاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي بولاه ،فلكل بداية نهاية، ولكل بداية دراسة موضوع له نهايته، وهذه هي نهاية بحثنا المعنون تحت عنوان : مفهوم التراث في فكر مصطفى صادق الرافعي –قراءة ابستيمولوجية–.

و لقد خرجنا من دراستنا هذه بجملة من النتائج التي توج بها موضوعنا لهذه الدراسة أهمها ما يلي:

الأصالة في جوهرها تقترن بالتراث و الهوية و المحافظة.

المعركة بين القديم و الجديد، خلفت ورائها فريقين متعارضين في الآراء و الأفكار و المذاهب.

يصدر الرافعي في أرائه الفكرية و الأدبية عن رؤية إسلامية ،إنسانية ،تعبر عن وعي الذات بذاتها وبالذوات الأخرى ، وتثبت أنها تملك معرفة بما لديها وبما ينقصها ، كما تمتلك معرفة بما يمتلكه الآخر وبما ينقصه.

يتخذ الرافعي موقفا فكريا ناقدا ورافضا النموذج المعرفي الغربي المهيمن ،وهو يستمد سلامة أطروحته من إيمانه بعظمة الإسلام ، ومن واقع الانسان الغربي الذي وقع ضحية الفلسفات المادية التي بدأت أثارها تظهر بشتى تجلياتها، في عصرها ما بعد الحداثة .

مصطفى صادق الرافعي أديب وناقد بامتياز حين يلقب " بمعجزة الأدب " ، رغم عدم تحصله العلمي إلا على الشهادة الابتدائية فقط.

مرض مصطفى صادق الرافعي الذي أصاب سمعه وصوته ،يقال عنه " مرض التيفود" لم يكن عائق أو حاجز أمامه.

خاتمة

اطلاع مصطفى صادق الرافعي الواسع و الشاسع ، على الكتب الخاصة بالتراث ، و توافده الدائم عل مكتبة والده الشيخ القاصي ، والنهل منها ،وحضوره مجالس الاشياخ و الأدباء الكبار ، ويقرأ في اليوم حوالي ثماني ساعات في اليوم دون كلل أو ملل ، وحفظه للقرآن الكريم باعتباره من أسرة دينية و أدبية ، تنشأ أولادها على التربية الدينية.

اعتماد مصطفى صادق الرافعي على المصادر التراثية وجعلها أساسا له

المعارك الأدبية التي خاضها الأديب و الناقد مصطفى صادق الرافعي ، و التي تسمى بالخصومة الأدبية مع الكثير من الأدباء أمثال :محمود عباس العقاد ، طه حسين الاكثر شيوعا ،حيث تضاربت الآراء وخاصة عندما صدر طه حسين كتابه " في الشعر الجاهلي " الذي أثار ضحية كبيرة وسط ساعة المعركة.

كان أسلوب الرافعي ، في نقده طه حسين مختلفا ومتباينا حيث نجد فيه التهكم ، والسخرية و الهجاء اللاذع كما نجد فيه الحكمة و الاتزان

كانت للرافعي مواقف عديدة تجاه قضايا التراث ولعل الأكثر قضايا هي : قضية الاعجاز في القرآن الكريم ،البلاغة العربية (النبوية)

الدراسة التطبيقية التي قام بها مصطفى صادق الرافعي ، لموقفه من قضية الشعر الجاهلي ،و الذي ألب عليه العديد من الدارسين ، فضلا عن المحافظين ،لانهم رأوا فيه طعنا في الدين و في العقيدة.

قضية الانتحال في الشعر العربي من أبرز القضايا التي طرحت في كتب الأدب العربي ،لاسيما فيما يتعلق بالشعر الجاهلي الذي دخله انتحال كثير ، ولقد تتابع الرواة الثقات بتحقيق وتمحيص ما جاء من تراث في الشعر الجاهلي

نصيب الايديولوجيا ونصيب المعرفة ، لتقييم النقدي لحجج الرافعي

خاتمة

انفراد الرافعي في رده على طه حسين ، المعركة التي لم يستسلم فيها الرافعي ،والاتهامات التي وجهها مصطفى صادق الرافعي للأديب طه حسين ، وخاصة بعد صدوره لكتابه " في الشعر الجاهلي " ومحاكمة طه حسين بعد اصداره للكتاب.

و الله من وراء القصد و هو يهدي السبيل

ملخص

تسعى هذه الدراسة إلى تقصي موقف الرافعي، من قضية التراث العربي الاسلامي، و ترتكز الدراسة – في تقصيها لهذه القضية- على مؤلفات الرافعي الثلاثة: كتاب المساكين، و تحت راية القرآن، و حي القلم، إذ تنطوي تلك المؤلفات على النصوص و الشواهد التي تتعلق بتراثنا العربي، و تبين الدراسة – في هذا الإطار- مفهوم الرافعي للتراث، و رؤيته للحضارة الغربية و أسس التفاعل معها، و نظرية لثنائية القديم و الجديد، في الأدب العربي الحديث، و النماذج التي تكشف عن تلك النظرة.

- و من هنا جاء موضوع بحثنا مفهوم التراث في فكر الرافعي (قراءة ايستيمولوجية)

- و قد اعتمد في هذه الدراسة على المنهج التحليلي و التاريخي.

- و قد بني هذا البحث على مقدمة و مدخل و ثلاث فصول و خاتمة.

- مقدمة : الإحاطة بالموضوع.

- مدخل: التفاعل مع التراث بين دعاة المعاصرة و أنصار التراث.

- الفصل الأول: نموذج القراءة الرافعية للتراث.

- الفصل الثاني: التحليل الاستيمولوجي.

- الفصل الثالث: دراسة تطبيقية لموقف الرافعي من قضية الشعر الجاهلي.

- خاتمة: استظهار لأهم النتائج المتوصل إليها.

Résumé

Cette étude vise à enquêter sur la position d'Al-Rafi'i sur la question de l'héritage arabe islamique, et l'étude est basée - dans son enquête sur cette question - sur les trois livres d'Al-Rafi'i: Le livre des pauvres, sous la bannière du Coran, et Hay al-Qalam, car ces livres contiennent des textes et des preuves liées Avec notre héritage arabe, et l'étude montre - dans ce contexte - le concept Rafi'i du patrimoine, sa vision de la civilisation occidentale et les fondements de l'interaction avec elle, une théorie de l'ancienne et de la nouvelle dichotomie dans la littérature arabe moderne, et les modèles qui révèlent cette vision.

Et de là est venu le thème de notre recherche: Le concept de patrimoine dans la pensée d'Al-Rafi'i (une lecture estémologique)

Dans cette étude, il s'est appuyé sur la méthode analytique et historique.

- Et cette recherche est basée sur une introduction, une introduction, trois chapitres et une conclusion.

Introduction: Briefing du sujet.

Introduction: Interagir avec le patrimoine entre les défenseurs contemporains et les défenseurs du patrimoine.

- Chapitre un: le modèle de lecture grue du patrimoine.

- Chapitre deux: Analyse estémologique.

Chapitre trois: Une étude appliquée de la position d'Al-Rafei sur la poésie préislamique.

Conclusion: un aperçu des résultats les plus importants.

Abstract

This study seeks to investigate Al-Rafi'i's position on the issue of the Arab Islamic heritage, and the study is based - in its investigation of this issue - on the three books of Al-Rafi'i: The Book of the Poor, Under the Banner of the Qur'an, and Hay al-Qalam, as these books contain texts and evidence related to With our Arab heritage, and the study shows - in this context - the Rafi'i concept of heritage, his vision of Western civilization and the foundations of interaction with it, a theory of the old and new dichotomy in modern Arabic literature, and the models that reveal that view.

And from here came the topic of our research: The concept of heritage in the thought of Al-Rafi'i (an estemological reading)

In this study, he relied on the analytical and historical method.

- And this research is based on an introduction, an introduction, three chapters and a conclusion.

Introduction: Briefing the topic.

Introduction: Interacting with heritage between contemporary advocates and heritage advocates.

- Chapter one: the model for crane reading of the heritage.

- Chapter Two: Estemological Analysis.

Chapter Three: An Applied Study of Al-Rafei's Stance on the Issue of Pre-Islamic Poetry.

Conclusion: An overview of the most important findings.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم :برواية حفص.

الحديث النبوي الشريف.

أ المصادر:

1. مصطفى صادق الرافعي ، تحت راية القرآن ، المعركة بين القديم والجديد، القاهرة ، مكتبة مصر ، 1999،د-ط.
2. مصطفى صادق الرافعي ،وحي القلم ،بيروت ، المكتبة العصرية .، الجزء الأول
3. مصطفى صادق الرافعي ،تاريخ آداب العرب ،المجلد الأول .

ب- المراجع:

1- الكتب:

1. أحمد البرقاوي ،الابستيمولوجية ، الموسوعة العربية .
2. الأدب الجاهلي بين مصطفى الرافعي وطه حسين ،الطبعة 07،الجزء الاول.
3. إعجاز القرآن الكريم .
4. إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ،بيروت ،دار الكتاب العربي ،الطبعة الثامنة، 1425هـ-2005م .
5. أنور الجندي ،خصائص الادب العربي ،دار الكتاب اللبناني بيروت .
6. الباقلاني ، أبو بكرا عجاز القرآن ،تح ،أحمد صقر ،دار المعارف ،مصر ، دون طبعة ،1374هـ-1954م .
7. تجديد المنهج في تقويم التراث ،لطه عبد الرحمان، الطبعة الثانية ،المركز الثقافي العربي الدار البيضاء .
8. التراث و الحداثة لمحمد عابد الجابري ، الطبعة الأولى 1991م ، مركز الدراسات الوحدة العربية

9. التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم ، لحسن حنفي، الطبعة الرابعة 1992م ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ،بيروت.

10. تفسير التحرير و التنوير ،للشيخ محمد الطاهر بن عاشور،بدون طبعة ،دار سحنون للطباعة و النشر،تونس

11. تفسير القرآن الكريم لابن كثير، ط1995م ،دار المعرفة ،بيروت

12. ثقافتنا في ضوء التاريخ ، لعبد الله العروي ، الطبعة 2002م ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء،المغرب.

13. جابر عصفور ،قراءة التراث النقدي ،هـ،م ،ع ،ك ،2006م.

14. حديث الأربعاء ،الطبعة 10،دار المعارف .

15. راجع الفصاحة لابن سنان الخفاجي ،دار الكتب العلمية بيروت ،الطبعة 1402،01هـ – 1982م.

16. الرافعي ،تحت راية القرآن ،مؤسسة التعليم و الثقافة.

17. الرافعي الكاتب ،منهج الرافعي النقدي بين القديم والجديد

18. الرافعي تحت راية القرآن ،دار الايمان ،القاهرة ،1962هـ،1917م.

19. رفعت سالم ،بحثا في التراث العربي ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،2006م .

20. زكي نجيب محمود ، تجديد الفكر العربي ، دار الشروق ، الطبعة السابعة 1982م .

21. سامح كريم ،تقديم دراسة وتحليل لكتاب في الشعر الجاهلي لطه حسين ،دار المصرية اللبنانية،القاهرة،د.ط،2012.

22. سلامة موسى ،الأدب للشعب ،مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ،القاهرة ،مصر ،د.ط.،2012.

23. سمات البلاغة النبوية ، بين الجاحظ و الرافعي و العقاد ،عدنان محمود زرزور .

24. سنن أبي داود ،لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ،باب في فصل العلم ، رقم الحديث 3641.

25. سؤال المنهج لطه عبد الرحمان ، الطبعة الأولى 2015م ،المؤسسة العربية للفكر و الابداع ،بيروت

26. شريف الجرجاني ،كتاب التعريفات ،مكتبة لبنان ،بيروت ، طبعة جديدة ،1985 .

27. طه حسين ،في الأدب الجاهلي ،مطبعة فاروق ،محمد عبد الرحمان محمد ، القاهرة ،1352هـ-1933.

28. عبد القاهر الجرجاني،دلائل الاعجاز، تعليق محمود شاكر ،مكتبة الخانكي بالقاهرة ، المقدمة.

29. عبقرية محمد عباس محمود العقاد ، دار النهضة مصر للطباعة و النشر ، الفجالة ،القاهرة .

30. عشقي أنور ماجد ،مصطفى صادق الرافعي ،أديب كتب تحت راية القرآن .

31. فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية في علم التفسير ،الشوكاني،طبعة 1993م ،بيروت.

32. في الأدب الجاهلي :الطبعة الثانية .

33. قدامة ابن جعفر ،نقد الشعر ،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ،1982.

34. كريم الوائلي ،الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية ،دار العالمية .

35. لخص ناصر الدين الأسد :هذه المقالة في كتابه "مصادر الشعر الجاهلي " ،تلخيصا دقيقا .

36. محمد سعيد العريان ،حياة الرافعي ،الطبعة الثالثة ، 1955م ،مصر ،المكتبة التجارية الكبرى.

37. محمد عابد الجابري ،نحن و التراث ،قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي ،دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت ،المركز الثقافي العربي .

38. مصطفى صادق الرافعي ،تحت راية القرآن ،الطبعة 3، مطبعة الاستقامة ،القاهرة ،1953م.

39. مصطفى صادق الرافعي ،كتاب السفود ،دار عمير الكتب.

40. مصطفى صادق الرافعي ،وحي القلم ،الجزء الثالث ،2017م ،دار ابن حزم .

41. مصطفى صادق الرفاعي ، أوراق الورد ،مؤسسة الهنداوي للتعليم و الثقافة ،القاهرة ،مصر،د.ط،2012م .

42. مفهوم التراث مجددات ومفاهيم ،لمحمد جميل مبارك ، الطبعة الثالثة 1993م ،بيروت الشام.

43. ناصر الدين الأسد ، مصادر الشعر الجاهلي و قيمتها التاريخية ،دار المعارف ،مصر ،1982م.

2- معاجم و قواميس:

1. أساس البلاغة ، لجار الله أبو القاسم الزمخشري، مادة ورث، ط، 2004م ، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع ،بيروت

2. لسان العرب، لابن منظور 1134/15، مادة ورث، تحقيق محمد أحمد حسين الله هاشم محمد الشاذلي، وعبد الله علي الكبير، بدون طبعة، دار المعارف، القاهرة.

3. تفسير القرآن الكريم لابن كثير، ط1995م ،دار المعرفة ،بيروت

4. فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية في علم التفسير ،الشوكاني،طبعة 1993م ،بيروت.

5. تفسير التحرير و التنوير ،للشيخ محمد الطاهر بن عاشور،بدون طبعة ،دار سحنون للطباعة و النشر ،تونس

6. سنن أبي داود ،لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ،باب في فصل العلم ، رقم الحديث 3641.

3- الكتب الأجنبية

[1] -la lande : voesulaire technique et critique de la philosophie, Paris, 1986, Page 293.

4- المجلات

مجلة الفصول ،العدد ،63 ،2004.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
كلمة الشكر و العرفان	
الاهداء	
مقدمة	أ
مدخل تمهيدي	
مفهوم التراث لغة واصطلاحا	06
أنصار القديم	10
التيار الحداثي	11
التيار التوثيقي	12
الفصل الأول :نموذج القراءة الرافعية للتراث	
تمهيد	16
المبحث الأول :التكوين العلمي و الثقافي لمصطفى صادق الرافعي	19
المبحث الثاني :العصامية وغياب الأكاديمية	21
المبحث الثالث :درجة التفاعل مع الثقافة العربية	24
المبحث الرابع :الاعتماد على المصادر التراثية	27
الفصل الثاني :التحليل الابستيمولوجي لمقولات الرافعي من خلال خصوماته	
تمهيد	35
المبحث الأول :المحتويات المعرفية في كتب الرافعي الخاصة بقراءة التراث	39
المبحث الثاني :الشواهد المستدعاة بالتحليل	41
المبحث الثالث :الرد على أطاريح الخصوم	43
المبحث الرابع :نماذج من مواقف الرافعي اتجاه قضايا التراث	52
الفصل الثالث : دراسة تطبيقية لموقف الرافعي في قضية الشعر الجاهلي	
تمهيد	58
المبحث الأول :الحدود المعرفية لرد الرافعي على أطروحة طه حسين	63

فهرس الموضوعات

المبحث الثاني :نقيض أطروحة طه حسين (الحجاج و أطره المعرفية)	66
المبحث الثالث :التقييم النقدي لحجج الرافعي (نصيب الايديولوجيا و نصيب المعرفة)	69
المبحث الرابع :ما انفرد به الرافعي في رده على طه حسين	71
الخاتمة	75
قائمة المصادر و المراجع	79
فهرس الموضوعات.	85